العبقري

تأليف

طه حسين

مكتبة النهضة المصرية

PJ
7810
F5
A25
1941

إنّا خلقْنا للحريق
على شمعة الفتنة .

العبير

مقطّعات من الشعر المنثور

تأليف

حسين عفيف المحامى

الطبعة الأولى

الثمن عشرة قروش

الناشر مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

مطبعة حجازى بالقاهرة

الإهداء

إلى روح الشاعر الأكبر

رابندراناث تاجور

العبير

مقطوعات من الشعر المنثور .

من الخيال منسوجة .

١

على وقْع قدميكْ ، ألحّن أنغامى .
وبمحاسنكْ ، أُطْلقها تَشْيد .

يا دائمةَ التنقل فى قلبى آهٍ مِن وقْع خطواتك السحرى !

لولاه ما أُوحىَ إلىّْ ، ولَمَا كان لمزمارى ترانيم .

فياحبّذا الوحىُ أنتِ ألهمتِنى ، وياحبذا الأغنيَاتُ أغانيكْ !

روحى وجيئى بالفؤاد ، وانقلى الساق عليه ودقّ بالقَدم .

روحى وجيئى به وابعثى الأنغام فيه تَلافيف . كلما خرجتْ من نايى مع نفَسى المحترق ، أرهَف القومُ لىِ سمْعهم .

٢

فى الغروب ، أبعث إليكِ أنغامى دامية .
حمراءَ من بَرْح الشوق ، كأنها من الورد ملتهِبُهْ .
فاجمعيها مع زهر روضك ، فهى منه منتَخَبُهْ .
وحذارِ أن تَشُوك بنانكْ . أو تُدْمِىَ كفكْ .
فهى فى الورد برِيَّة . وفى الحب شقية .
لا تبالى إنْ خَمَشَتْ وجْنة . كم ظُلمتْ ، أفَما تَظلم مرة ؟

٣

كما لو كان قلبي قيثارة ، وحبُّك الأناملَ التي تداعب أوتارها ! وكلما تناوحتْ في صدري ألحانُ العذاب ، ترنحتُ وصحتُ هنيئاً لمن أسكره النغم ! لولا أن روحي ما تلبث أن تنوء تحت بخاره ، كزهرة الفجر إذ يغمرها الضبابُ الندِي . ولكنْ أترضَى زهورُ الرياض بديلاً عن طلّها المسكر ، حتى أكافحَ لأفيقَ من حبك ؟

٤

أنا مَن عصرتُ بسَماتى على صبحك ، وذهَّبتُ بأحـــلامى أصيلك . وورَّدتُ لكِ الشفَق بأشواقى ، وزرعتُ لك الليل شُهُباً من حُرَقِى .

وملأتُ من دمعى جداول بستانك ، ومدَدتُ من أحزانى ظلاله . وفرشتُ من وردى طريقك ، ثم دستُ على شوكه .

ولقد بسَطتُ من وسَنِى مِهادك ، وسهرتُ أحرسك . وأضأتُ من لهبِ شمعك ، واحترقتُ على نوره .

فهل سمعتِ بمثلى عاشقاً خَلق من جحيمه جنة ، ثم قال لك ارتعى ؟

٥

اللهُ للقلوب من لحْظكِ الماسِى ! يخترق شغافَها بلا رحمة ، ويمزقه شرَّ ممزَّق !

يا ألاّقةَ اللحظ خبِّئى عن عينىّ هاتيك الجواهر !

خبئى ماستيْن بمحْجريْك ثُبِّتتا ، تبعثان الضوء يستلُّ النواظر !

واذكرى أنّا بشَر . وتقتلنا العيون السواحر .

٦

يذكّرني تثنّي الغصن قدّكْ . وحياءُ الورد خدّكْ .

والأقاحي ثناياكَ والبراعمُ ثغرَكْ .

والظـــلُّ أهدابَكْ ، والبرقُ ألحاظَكْ ، والدياجي شَعرُكْ .

والفواكهُ ريقَكَ المعسولَ والبلابلُ صوتَكْ.

فيا ساحرُ خبّرني : أكلُّ أسرار الكون عندكْ ؟

وهل التعاويذ تقينا هواكَ والتمائمُ جِنّكْ ؟

إني لأرفض لو تُجْدِي الرُّقَى ، وأود لو أصبح عبدكْ !

٧

علامَ البخلُ بفاكهتك ، والضنُّ بأزهارك ؟
نظراتى هى التى ضرّجتْ فى خدكِ الورد
وأنضجتْ بثغرك العُنّاب .

سلى لونك الجُورِى ، سلى حمرة خجلك —
ينبئانك .

إنه حبى الذى زفَّ الربيعَ إلى بستانك ،
وفتّح بأنفاسه الدافئة براعمه .

إنه نورى الذى حلّى فواكهه ، وصبغ
بمختلف الألوان أزهاره .

ودمعى الذى رَوّى تربته ، وكلّل شجره
بالندى .

لولاى أنا ما اهتز بنبْت ، ولا ازدحمتْ
على أيْكه الأطيار .

لولاى لذبلتْ أغصانه ، وتعثرتْ روحك فيه كنحلةٍ مَهِيضَة الجناح .

فاحفظى الجميل ما حَيِيتِ لذلك البستانى . أكرمى وفادته ، واملئى سِلاله مما غَرستْ يداه ، يضاعِفْ لك الجهد ويهزّ أرضك كل يومٍ بنبتٍ جديد .

٨

عندما تلتقى شفتانا ،
وتَنْفُضُ القبلاتُ عنكِ عبيرَك —
تَزْكين كزهرة الروض .
وكوردةٍ تَغرقين فى حمرة خجلك .
عندئذ يَزيد جمالُك أبَّهة .
لأنه وقد استدار على نفسه ، يَعكس منها ما خَفِى .
إنك زهرةٌ سكرتْ من عطْرها ، فمشَى فى لونها التيه .
إنك تشربين من خمرك ، لترينا آيته على وجنتك .
ولكننى أنا الذى أناولك الكأس ، وأقول لك اشربى .
قُبَلى هى التى تجعل خمرتك تفور ، وتسقيك حتى الثمالة .

٩

ما أنتِ إلا زهرةٌ مرموقة ، وأنا النحلة التى تمتص رحيقك ، وتطير مترنحةً فى الرياض .

فعلى شفتىّ منكِ حلاوة ، وبشدوى طنينٌ تَمِل .

وهكذا أشرب كأسى من خمرك ، حتى إذا أرسلتُ أنغامىَ سكْرَى ، غَفَى على نعاسها الناس .

١٠

فى الصباح ، حملتُ سِلالى الخالية ، وقصدتُ إلى روضك .

وطفقْتُ حتى انصرم النهار ، أجمع من خدكِ الخوْخَ ، والكِرَازَ من ثغرك .

وعندما عدتُ لدارى وسلالى مفْعمة ، أفرغتُها بجانب قلبى ورحت فى نومٍ لذيذ ، كطفلٍ احتضن دُمْيته ونام .

١١

عندما تضعين غلالتك الرقيقة ، تَبدين شفافةً كحلم . فيراك قلبي الوسنان ، كبعض رُؤاه .

أحبك حُلْماً لأنىَ ناعس !

أحبك عبْرَ غلالتك ، لتقتحمى منامى اقتحامَك لخيوطها !

حبك أسبل أجفانى ، وأسلمنى لكرًى سعيد .

فأتينى كمثْل هاتيك الرؤَى ، واسبحى فى نومى كنجمة الليل تؤنسُ ظلُماتِه ، وتقصُّ عليه أنباء النهار .

١٢

إنى أغار !

أغار من النسيم يَلمس خدك . ومن الكأس تلثم ثغرك .

ومن الورد إذا غازلكِ ومن الغصن إنْ طوّق خصرك .

ومن الدجَى إن زَجّج حاجبكِ والليلِ إن كحّل جفنك .

ومن النور إذا حَمّاكِ والعطرِ إن ضمّخ جسدك .

والفجرِ يَسكب فى هواك نَداهُ والبرقِ يُزجِى من جواهُ وميضَه .

والطيرِ يرسل من أيكه الآهاتِ والنحلِ يبعث بطنينه الهاذى .

كلُّ البريَّة غرمانى فياويل قلبي ممن شاركونى فيك ؟

ليت خدكِ لم يُخجِلِ الوردَ وثغرك لم يُزْرِ بالعناب !

ليت قدك لم يَغِظِ الغصنَ ونهدك لم يَفلقِ الرمان !

ليت لحظك لم يَكسفِ الشمسَ ومحياك لم يَبخسِ القمر .

ليت شَعرك لم يَفُقِ الليلَ ومَفْرِقَك لم يَبُزَّ الصباح !

ليت كفَّك لم تَفْضُلِ العاجَ وساقك لم تَغلب الجُمّار !

إذَن لنامت عن هواك العيونُ خَلاَ عينِي ، وأحَبك الفؤاد بلا شريك .

ولَألفَى فمى على فمك السلام ، بعد أن سافر يبحث عن قبلة .

وعلى خصركِ ساعدى مرساه ، بعد أن أقلع يطلب ضَمَّة .

ولعرفتُ الهوى دون الجوَى . وعرفتُ القرب من دون النوى .

ولذقتُ الوصل من دون الهجر . وشربتُ الشهد من دون العلقم .

ولَمَا أذرفتْ عينىَ دمعة . أو ساهرتْ فى الليل نجمة .

وتبسَّمتُ ولم أعرف ما الكدر .

١٣

إن كنتِ زهرة ، فلا تصغى لكل طائر .
اصغَىْ لِى وحدى .

أو كنتِ غصناً ، فلا تَميلى لكل ريح .
مِيلى لِى أنا .

لا يتضرجْ خدك خجلاً إلا منى . لا يتبسمْ ثغرك إلا لِى .

وإياك وأن تذْكرى غيرى . أو يزورك فى الكرى طيفٌ سواى .

أنا وحدى الذى أبَلْبِل فكرك ، وأقتحم عليك منامك .

إنى ملكتُك بالذى ذرفتُ فى سبيلك من دموع ، وأرسلتُ فى الدجَى من نفَسٍ محترق .
ولقد ملكتِنى أيضا بمثل ما ملكتُك به ،

وحرّمنا نفسَنا على العالمين .

يَشهد الليلُ الذى سهرناه ، وأحصينا نجومه عَدَدا . يشهد الدمع الذى سكبناه أنداءً جلّلتِ الشجر . تشهد النار يشهد الشوق الذى بعثناه شرراً يتقد — أننا أسيرَا هذا الغرام .

ولا كان حبٌّ لا يضع فى أرجلنا القيد . أو جمالٌ لكل العيون مباح .

ولا كان ثغركِ إن أسلمتِه غيرى . ولا شفتاى إن تذوقتا سواه .

١٤

أنا وأنتِ إلْفان ، ما نغرد إلا معا . أنا وأنتِ غصنانِ ، إن ملْنا فلِنعتنق .

إن دنا منا فنَان ، فلكى ينطبقا . أو رنا لحظان ، فلكى يلتقيا .

لا نمنّى غيرَنا . لا نخون حبنا . إنّا فى هوانا لا نُشْرِك . إنّا لا نعدّد آلهتَنا ، وما ينبغى .

ما لَنا والقُبَل الحرام ؟ تلك خمرٌ لا نكهةَ فيها . حسْبُنا أكؤسنا . وكفانا ما نشرب . إننا لم نأتِ على الكأس لنطمع فى غيرها . ولن نأتى عليها ولو عشنا مخلّدِيْن .

١٥

قلبى عندكْ ، وقلبكِ عندى . وكِلاَ القلبين فى بيته .

نحن بَدَّلْنا الديار وما بُدِّلتْ . ثنَّينا القلبين وما تَعدَّدا .

حبٌّ واحدٌ مزَجهما . فإمّا حَلَلْنا من منزلٍ حللنا معا . وبأى منتجَعٍ أقمنا فبين أهلِينا .

١٦

أرأيتِ إلى أنك زهرةٌ تَرِفّ ، وأنى فراشةٌ ترتعش ؟

فياحبذا إذَن فى الحب رِعْشَتُنا ، وياحبذا الجنون جنوننا !

ويا ما أُحَيْلَى رفيفك يذهلنى ، وظِلّ أجنحتى القلِق يتيه على ورقك ويُوهنه !

إنْ تكونى دَغدغتِ برجفتك إحساسى ، فما هدأ لك بالٌ مذ سَجَّلتْ عليك ظلالى رَعَشاتها .

غير أنّا فى قلقنا هذا أجمل منا فى أى يوم كنا ، ومِن الأُلَى ناموا مِلْءَ الجفون .

إن فى هزاتنا السريعة لَومضاً يضاعف أليقنا . وفى عذابنا لعنفاً يفجِّر فينا ينابيعَ نورٍ جديدة ،

تَعكس أضواءها بشرتُنا .

فهنيئاً للذين حلاّهم القلق ، وأحرقهم على نوره السحرى . هيّا رِفّى وأرِفّ ، ولْنوقدِ النار حولنا . إنّا خُلِقْنا للحريق على شمعة الفتنة .

١٧

إنكِ لَشرابٌ عصروه من فواكه.

فيك من الخوْخ نكْهتُه، ومن الكِرَاز حمْرته. وفيك من العنب نبيذ.

فيك من كل فاكهةٍ كأس.

وإنى لَأشرب منك الرشفة، فتعطّر دمِى وتحلّى مَذاق شفتىْ. ثم تُرْدِى فؤادى سكران.

١٨

طال انتظارى ولم تحضُرى . طال انتظارى ، فباللُّب منى شُرود ، وبالفكر بَلبال .

طال انتظارى فطفَرَ الدمع الذى كان هاجعا . والقلب من إعيائه غاص .

طال انتظارى طال ! فغامَ فى عينِى النهار ، واكتأب الزهر البشوش .

وكأن رقْرقةَ النسيم تَأوُّهُ ريح . وكأن تغريد الكنارْيا نُواح .

طال انتظارى فهيكلى اليوم حُطَام . وأنفاسى أنفاسى عواصف !

وتركتِنى وحيداً وما عودتِنى . ويتَّمتِ قلبى وكنتِ له أهلا .

ليتك ! ليتك تحضُرين ! فللِقلب حديثٌ

يود أن يفضى به . وبالجوانح أشواقٌ تتفزز .
وإن فى اللقاء لَمجالا . وإن فيه لَمتنفَّسا .

فتعالىْ حبيبتى ! تعالىْ نهصِرِ القدود تعالىْ نقتطفِ القبل .

تعالىْ غنِّينى وأغنيك فى الأشواق . وأسمعينى : حبيبى وأُسمِعك : حبيبتى .

تعالىْ فجسمى تضعضع والله ! وصبرى وهَى . والضنى من بُعدك كاد أن يقضى علىّ .

١٩

عذابٌ هو الحب .
لأنه شوقٌ مقيم .
له بالقلب إلحاحٌ كألحاح الظمأ .
وإن لم يكن كالظمأ يُروَى .
غير أنه عذابٌ جميل .
لأنه يطْلق الجوانح بالبَثّ .
فتنْفضُ عنها ما طوت من نغم ،
ما نلبث أن نغرق فى بحره اللُّجِّى ،
فتستحيلَ أيامنا إلى ترانيم ،
وتبدو لنا الساعاتُ وهى تمرّ ،
كأنها عصافيرُ تمضى من أيْكٍ لِأيْك ،
وقد أنشأتْ تغرد .

٢٠

سأشرب أكواب النور التى تنسكب من لحظك ، ثم آوِى إلى ظل أهدابك الظليل . أشدو وأصفق بجناحىّ كبلبلٍ حطّ على غصنه وهو ثمل .

وسألثم فى خدك تفاحى ، وأنشق فى ثغرك وردى ، لأحلّى أنغامى بفواكهك ، وأعطرها بعبير زهورك .

حتى إذا ما حنّ جفنى للكرى ، هرعتُ إلى شَعرك الفاحم ، لأشرب من ليله كئوس نعاسى .

وعندما يلُوح لى فى النوم مَفْرقك كفجرٍ آخذ فى الشروق ، سأصحو لأشرب من جديدٍ نورك وأغنّى .

٢١

ابسمى لي ! وأريني فماً ينفرج عن لؤلؤ ! ويطفو فوقه نورٌ غير منظور ! كأنه فرحةٌ وثبتْ من قلب ! كما يثب الحَبَب إلى حافة الكأس ويَرقص . ثم يذوب لا نعرف أين غاب ولا كيف انبثق .

نورٌ لا كوكبَ له ! وكأنه أضغاث أحلام ! غير أنه أسْطعُ على فمك من نور كوكبٍ درّي .

٢٢

إنى لأبعث إلى عينيك بوميض صبابتى، فيخرج منهما ألحاظاً تتألق. وإلى أجفانك بحزنى فيكحلها بظلاله السود.

ولقد عصرتُ على خدك أشواقى فوردّتهْ. وعلى ثغرك قُبَلى فألهبتهْ.

ثم تحيرتُ أتعشّقتُ حسنك أم تعشقتُ عذابى؟

٢٣

فمى ـــ ذلك البلبل الواقف الآن على ربْوة أنفك الصغير ـــ ينظر وهو توّاقٌ إلى حدائق الكِرَاز التى تَنبت فى ثغرك !

سأنشر جناحىّ وأميل كطائرٍ شارفَ الماء، لأهبطَ هذا الوادى المُونق .

وسأمسُّه بطرَفهما قبل أن أحطَّ عليه وألثم فواكهه ، كما حوّمتْ حمامةٌ على غدير .

حتى إذا ما لففتُ مِنقارى عليه ، رنَّ فى الروض صوتُ قبلةٍ غرِّيدة . وقالوا ثَمَّ بلبلٌ على فَنَنٍ يغنّى !

٢٤

لأنتِ طائر الأيْك الذى يغرد فى قلبى. وإنى لأسمع ذاهلاً أنغامه، فتنقلنى إلى عالَمٍ من ضباب، طالما حننتُ إليه كأنْ كان فيه فى الأزل مُقامى.

عالَمٍ كأنه ماضى روحى السحيق، أنآنى حيناً عنه الجسد، لكنه بقىَ فى أغوار نفسى راسبا. فلما أنْ أغرقتِنى فى كأس نشوتك، لمستُ القاع الذى كنتُ طافياً فوقه، وارتددتُ إلى مَواطن ذكراى التى فارقتُها.

إلى مواطنَ تبدو كالحُلْم من تحت اللُّجَج، أو كنجمٍ سابحٍ فى ظلام. غير أنها أسطع فى نفسى من وهَج الشمس، لأنها أقدم منه مولداً فيه. إن بينهما لَسنينَ من ضبابٍ نسَجه عليها

البعد . فكأن الغيْم الذى تتحجب به ، وشاحُ العرَاقة الذى به تتَّشح . وكأن النأى الذى تَظهر عَبْره ، آيةُ سكْناها قرارى .

وإنى لَأعشق نورها هذا الضعيف ، كما أعشق الأحلام وكلَّ شاحب الظل ، لأنه يعود بروحى إليها .

أفما تَرِيْن إلى أنى فررتُ من قيظ الحياة إلى حبك ، ذلك الغَرِد المجنَّح فى سمائى ، حيث أسمع منه الأغانىَ ناعسة ، وألقَى ظلاًّ هناك وعينَ ماء ؟

٢٥

وهكذا تأخذكِ العزةُ بجمالك ، فتأبيْن إلا أن تنادينى بعبدك !

نعم أنا عبدك ! أركع عند قدميك كما يركع الوثَنِى .

إن لك لَسحراً آمرا . فما ذنب قلبى إذا هرع يلبى ؟

فيمَ يَأمر الحسن ، إنْ نحن حررنا العبيد ؟ وما بقاءُ العبيد ، إذا هُمْ عن تسبيحهم كفُّوا ؟

كلٌّ مسخَّرٌ لِمَا خُلِق له . فلَئِن عبدتُك حتى مست هامتى التراب ، فما فعلتُ إلا ما ليس لِى بعصيانه سبيل ، وما أرضيتُ إلا شهوةً فى نفسى .

٢٦

حبيبتى هى روضتى .
هَـذِى الرياضُ نسَبوها لها .
ما الورد إلا ثغرها الجُورِى .
والخوْخُ إلا خدها الخمرى .
أنفاسُها العطْرُ تَضوَّع .
والرحيق ما سال بين ثناياها .
وإن العناب لَيَنبتُ فى أناملها .
وعلى صدرها ينضج الرمان .
ومِن الجمّار ساقُها .
وغصنٌ قدُّها .
وأمّا العينان فبحيرتان ،
عليهما من أهدابها ظِل ،
ومن خواطرها عصافيرُ تصفق .
وفى جِيدها بلبل ،

يشدو فتخالها تتكلم .
وكئوسٌ فضة ،
لها إذا ضحكتْ رنين .
وكأن بسْمتها الصبح .
وكأن دمعها الأنداء .
وإذا لفَّنى شَعرها فى ليلِه ،
أضاء علىّ من جبهتها قمر ،
أتسلق إلى الخلد شعاعه ،
كما لو كنتُ حقًّا ببستان ،
فى ذات ليلةٍ مقمرة .
وهل هى إلا بستانى ؟
وهل القمر إلا هى ؟

٢٧

بدأتُ إسرائى من دُجَى شَعرك ، وبقلبى صبوةٌ وبعينىّ وجْد .

ولبثتُ أسْبح فى ليلٍ بَلِيل ، لا يضيئه إلا بصيصٌ من مَفْرقك .

وإذ تُقْتُ أن أُغفِى عليه ، كحلتُ جفنِى بمروده ونمت .

إلى أن تَبلَّج من وجهكِ الصبح ، فصحوتُ من نومى أتِمُّ الرحلة .

ومشيتُ فوق جبهةٍ بِلَّوْر . وجزْتُ دغَلاً من حاجبك وظلَّلنى منه ظِل .

بعدئذٍ سطعتْ من لحظك شمس . فملأتُ كأساً من نورها شربتُها وسكرْت .

فرأيتُنى أصعد ربْوةَ وجْنتك . ورأيتُنى

أجْمع من أيْـكها الخوْخ .

ثم هبطتُ ثغرك ، فإذا به للورد بستان .

وما أنسَى نبْـعاً فيه قاعُـهُ لؤلؤ . وبه من لَمَـاك بُحُورُ فتْنة .

فقطفتُ من ورده ، وشربتُ من شهده ، ومضَيت .

وبلَغتُ ذقنك . فطابَـعَ حسْنك . وأشرفتُ منه على منجمٍ من مرمر :

وكان جِيدَك فباركتُ حجَره . ثم لاح من نهدك الرمان :

وكان حلواً فملأتُ سلة . وحمَلتُ فاكهتى وسرْت .

وزاد سكرِى ، فضاع رشدى ، ولم أدرِ أين مضت بِي القدَم .

ثم أفقت ! فرأيتُنى أهبط على عمودِ رخام ، عرفتُ فيه ساقك البضة .

وإذ وصلتُ لقاعدة الصنم ، قِيل لِي إنها قدماك . وكنتُ عبدك فمرَّغتُ وجهى فيهما وبكيت .

٢٨

إنْ يَكُ ثغرك زهرة ، فروحك العطْرُ الذى زكّاها .

أو جفنك ليلا ، فروحك الوسَنُ الذى كحّله .

وهَبِى قدّك غصنا ، فروحك الريح التى ثنّتْه .

أو صدرك مرمر ، فروحك الضوء الذى نوّره .

على نغم روحك ، وقّعتِ مِشْيتك . وبإيحائها ، وزعتِ لفَتاتك .

روحك كانت الحبةَ التى أنبتت جسدك ، وفرّعَت أعضاءه على أبدع صورة .

وهى التى عَصرتْ نفْسها فيه ، وأمدّته

بألوانه ونكهته .

جماله شاهدُ عَدْلٍ على لطفها . فلَئِن أحببته ، فما أحببتُ إلاّ روحك فيه .

٢٩

قُومى لاعبى البِيَان . وانهبى سمعى فى أثر أنغامك ، وهى تشْرد منه كالعصافير .

وإذا ما خرجتْ من النافذة تعِيث فى الحديقة ، فخيِّريه أيقفو أثرها أم يَبقى للأسراب الأُخَر ؟

وهل تفُوته وهى تهُز الأغصان وتُقيم قيامةَ الموج على سطح البحيرة ، أم تفوته أخَواتها وهى تعبث بستائر الغرفة وتميد بجدرانها ؟

اضربى الأوتار ، أو اضربى قلبى ! وانهبى بصرى فى أثر أصابعك ، وهى تتنقل فوقها وتبْذر الفتنة هنا وهناك .

عاجٌ على عاج ! تلك أصابعك فوق بِيانك . غير أن عاجها لَدْن ، وتَزِين أطرافَه أصدافٌ

لونُها عُنّابى. وبالخنصر منـــه خاتَمٌ فصُّه ياقوت.

هيّا وأشعلى النار فى مَجامر العزف، تشعلى شوقى. وتتركينى كفراشةٍ تطْرب وهى تحترق.

ودوسى البِـدَال — تدوسينى أنا — كلما أردتِ أن تَعْلَىْ بالنغم أو تخفُتى به، لتأرجحى جسدى على موجاته، وتجعلينى كما لو كنتُ ثُبِّتُّ إلى زُمْبُرُك.

وتَثَنَّىْ! ومِيلى بقدك المياس ذات اليمين وذات الشِّمال، ورقِّصى عقلى معه.

ثم انظرى لىِ بين حينٍ وآخرَ وابسمى، لترىْ أثر عبثك بىِ، وتقرئى على وجهى أنى أبغى المزيد.

٣٠

حبذا أنتِ جالسةً تغزلين ، وظَهرك لى !

إنى لَأتسلل من خلفك خفْية ، لأطبع قبلةً على شَعرك .

ربّاه ! أية لطمةٍ من كفك الناعمة نالت وجهى !

تقدمتُ ما فطنتُ إلى أن حيلتى انكشفتْ ، وإلى أنك كنت ترينى فى المرآة وتغالبين بسْمتك .

فلما لم يبقَ بينى وبينك إلا ما بين الشَّفَة والكأس ، فاجأتنى المفاجأة التى أضحكتْك ودغدغتْ حسِّى !

وهكذا سطوتُ على الدار التى لم يكن بالنيام أهلوها ، فوقعتُ فى قبضتهم !

وهكذا أؤخذ فى الشَّرَك الذى نصبتُه لك
يا ماكرة! ولكنه كان شركاً من حرير،
عوَّضنى خيراً عن قبلتى التى لم تقتطَف .

٣١

أحبك باكية ! مِن شوقٍ بكِ بَرَّح أو جوَى .

أحبك باكية ! وأنهار الدموع تسيل على خدك . ثم تَسقط قطراتٍ تَرِفُّ فى الضوء وتحدِّث عن لوعتك .

أحب أن ألصق وجهى بوجهك المحموم ، وفى جحيم عذابك أمرِّغه . وأمرَّ بفمى على وجنتك المبللة ، وأشرب من جداول ألمك .

أحب أن أضم إلى صدرى صدرك المنتفض ، وأترك كيانى يرتجُّ فوق بركان ضناك . وأُدنى من أنفك أنفى ، وأنْشق من عواصف حرْقتك .

أحب أن أرنو إلى فمك وهو يرتجف كما ترتجف حمامةٌ مقرُورة . وأستمع إلى صوت

نشيجك كما أستمع إلى بحّات ناى .

أحب ، أحب ، أن أشهَدك بين يدىّ تتعذبين ، ثم أذوب حناناً من أجلك وأبكى .

حتى إذا ما شَفينا شهوةً للبكاء ، وغسلْنا معاً بالدموع أحزاننا المبهمة ، نهضت أسألك الصفح وأجفف دمعك بمنديلى الحرير .

ثم آخذُ بين ذراعىّ جسدك اللدْن ، وأربِّته وأغمره بالقبل .

وعندئذ يهدأ بعد الثورة خاطرُك . فأذا ما رفعتِ إلىّ عينيك وتبسمتِ ، كنتِ كالشمس أشرقتْ غِبَّ المطر .

٣٢

إننا فى هذه الدنيا ، لا نحيا فى فراديسنا المنشودة .

إننا فيها مغتربون .

ولكننا نُمنح فى ساعات النشوة ،

نوافذَ نطل منها على تلك الجِنان .

فنراها عند العناق وإبّان القُبَل ،

مسرعةً فى نظراتنا الوامضة ،

كما نراها طافيةً على بسَماتنا ،

أو رجْراجةً فى قطَرات الدمع .

عندئذ نهتف هذه فراديسنا رُدَّتْ إلينا !

ونسجِّل بيد الحب تلك اللحَظات التى تجعل لحياتنا قيمة .

والتى بها عمْرنا يقاس .

٣٣

إذا أقبل الشتاء بِقَرِّه وعواصفه ، فتلبدتِ السماء بالغيوم واختفت الشمس وراء السحُب .

وإذا ما ارتعشتْ بالموج أسطُح البحيرات ، وتغطّى الأديم بورق الشجر المتساقط .

وإذا ما أمالت الحشائشُ رءوسها للرياح ، وتعالَى حفيف الغصون تحت هبوبها .

وإذا ما أخذ الطيرُ يجتاز الفضاء مسرعاً إلى أعشاشه ، أوْ لوَى عنقه تحت جناحه وانكمش .

وإذا ما أوْقد القرويون النار فى الحقول والتفوا حولها يصطلون ، على حين خرج آخرون على ظهور الدواب وقد تدثروا بعباءاتهم .

وإذا ما شوهدت النسوة يحْملن سلاّت الخُضَر أو يملأن الجِرَار ، وقد جعلتْ

أسنانُهن من البرد تصطكّ .

وإذا ما انتفختْ بالهواء أشرعة المراكب ، وتأرجحتْ زوارق الصيد فوق العُبَاب .

وإذا ما بدا الشاطىء النائى عَبْرَ الضباب كأنه أشباحٌ تثاءب عنها الأفق .

وإذا ما خرجنا معاً إلى الطريق الخلوىّ نتمشى بين بساتين البرتقال .

وإذا ما طوحتْ بوشاحك الريحُ اللَّعوب ، وحَسَرتْ عن ساقك البضة ذيلَ ردائك .

أو هبت زوبعةٌ فأطارت قَلَنْسُوَتك ، ودحرجتْها فى الطريق مسافات .

ثم حلت أخرى غدائرَك ، وأخذتْ تداعب بأطرافها جفنك الكحيل .

وإذا ما ألهب البردُ دماءك فبدا خدك فى لون الورد وبنانك فى حمرة العناب .

وإذا ما ارتسم على وجهك القلَقُ من جرّاء

ذيّاك الصراع ، فبدا تيّاهاً عليه تِيهَ ذُبالة المصباح .

عندئذ سأرى جمالك فى أبدع صورة ، بعد أن يعكس القَلَقُ عليه أفتنَ أسراره .

وأتشفّى فيك يا من عذبتِنى ، كلما أثارت وطأةُ الريح أو البرد حنقك .

٣٤

حبَّذا أن تمْطر السماء ونحن نتسلق شجرة !

عندئذ سيغطّى جسدَك نِثَارُ الأزهار التى يسحقها المطر ، وقد طفا فوقها زبَدُها الأحمر .

وستعانقك الأغصان التى غسل الماء خضرتها ، وتعصر فى قلبك بسَماتها النقية .

وستشرئبُّ أعناقُ العشب لتلتقط القطر المعطَّر الذى يتساقط من جسدك .

وستتجاوب نقَراتُ الماء على الورق ، مع خرير السيول على الجذوع ، كما تَعقَّب دُفٌّ كمنجة .

وستنتفض الطيور المختبئة بجوارنا لتنحّىَ عن ريشها البلَل . وتجوس الزواحف خلال الأفنان باحثةً عن مَلاذ .

وستَدخل القواقع مَحَارها. كما تجاهد الحشرات لتشق لها طريقاً وسط مَناقِع الماء، على حين تقبْع أخرى منكمشةً بين لفائف الورق.

وسترنُّ خلاخيلك وأساورك وأنت تتنقلين من غصنٍ لغصن. وتُسمَع خشخشةُ الفروع التى تتركينها بعدك تهتز.

ثم يومض البرق فيتألق الخاتم بإصبعك. ويقصف الرعدُ فيتعالى عواء الحيوانات المروَّعة، وتقفز الضفادع هلعاً إلى الماء.

وهنا تصيحين بى أنْ أنجدك، وقد أفقَدك الخوف توازنك فأشرفتِ على السقوط.

فأخف إليك وأحملك بذراع، هابطاً الشجرة بالأخرى فى خفة النَّمِر.

ثم أنطلق بك عادياً فوق الأعشاب، والسيلُ يغمرنا، والبَرَدُ يمْطرنا وابلُه.

حتى إذا ما أوينا إلى أقرب خُص ، جففتُ جسدك بمنشفةٍ حرير ، وبعثتُ إليه الدفءَ بقبلاتى .

٣٥

خلِّى المدن ، واصحبنى إلى الغاب .

هنالك أكسوك من ورق الموْز ، وأجعل من الفل النضيد عقودك .

وأصيد لك البط وأطعمك شواءه . وأعصر لك العنب وأسقيك نبيذه .

وأقتلع لك القثاء من الأرض . وأتسلق الأشجار وأُلقى لك منها بالجوْز .

وأصحبك إلى النبْع حيث نستحم ، وأنشِّف جسدك بأوراق الورد .

وأجلس فى الضوء أمشطك ، وأعْقد الخوص المجدُول على مَفْرق شعرك .

وآخُذ قدميك فى يدىّ وأعصر فوقهما زيتوناً وبنفسجا .

وأصبغ بعصير العَنْدَم الأحمر شفتيك، وأطبع عليهما قُبَلاً دموية.

وأسقيك من كفِّيَ ماء. وتطعمينى من فمك فواكه.

وتغنِّين لىِ أغنية الغاب. وأرقص لك رقْص الهمَج.

ثم أحملك بين ذراعىّ وأجوس بك خلال الأدغال.

وكلما حلَّ بىَ التعب، جلستُ أدللك وأتلقى خمَشاتك كما لو كنتِ قطتى البرِّيَّة.

وفى الليل أُنْعسك بين أعواد الخيزُران، حتى لا تراك الوحوش.

وأقوم بجانبك أحرسك، أو أنام وعينىِ كعين الذئب يقِظة.

فأذا دهِمنا الوحشُ على رغم الحذر، انبريتُ أذوده عنك وبسهامى أصْميه.

فإن نجوْنا ففضلٌ من ربنا . أو مِتنا كنا قد تذوقنا الحياة .

اصحبيني إلى الغاب . وستَعشقين هناك حياة البرِّيَّة . كما ستعشقين وحْشك الظريف .

٣٦

حان السفر ، ودق ناقوسُ الفراق ، فأذا ما شمسُ اليوم غابت ، لن نعود نلتقى .

فيا طيرُ صَهْ ، ويا زهورُ اذبلى ! وقِفْ يا نسيمُ ، ويا روضُ أغلِقْ أبوابك ، فلن يعود يطأ مَماشيك الحبيب .

وانزوِ يا قلبُ والزمْ ركنك ، وافتحْ لك فيه طاقةً وأطِلَّ منها على ماضيك ، وارقبْ فى ضمير الزمان خيال نجمك .

وقُلْ تُرَى يا زمانُ تعود ويا نجمُ ترجع أفقَك ؟ وتنير لِى لِيلِى البهيم كما نورتَ عندك ؟

٣٧

أين ذهبَ البلبل الذى غرد لى ؟ أين ذهب مَن أسكرَ أُذنى ؟

إلى أى روضةٍ طار ؟ ولمن الآن يتغنى ؟

للهَ الله ! علّقتَ أُذنى بك ، ثم تركتنى ومضيت ! علمتَنى عشْق النغم ، وغدرت بى !

ليتنى أعرف روضك ، فأخفَّ إليك ! واستغفركَ من ذنوبٍ لمْ أجنِها !

لمَ جفوت ؟ هل استهوتك أزهارٌ أُخَر ؟ ألكل الزهور ترسل شدوك ؟ أوَكل ذيّاك الحُطَام ضحاياك ؟

إذَن فلقد عرفتُ لمَ يذبل الزهر . ولمَ يصفرُّ الورق .

وعرفتُ لمَ تناوحَت الرياح ، ومياهُ الغدران تَأسَن .

إنكَ أنت السبب !

أنت تُضَرِّج الورد بالخجل ، لتستلَّ دماءه وتطير .

أنت تستخفُّ النسيم فيترقرق ، لتتركه بَعدك عواصف .

أنت يا سرَّ السعادة والشقاء !

٣٨

مع رَكْب الغروب ، تسافر إليكِ أناشيدى .
موردَّةَ الأشواق فى الشفَق الوردى . تُضَرِّج
فى طريقها الورد ، وتخضِّب العُنّاب .

يا من أثختِ نغمى بالجراح بُحَّ نايى مِن
طول ما نوَّح ! أفَحتمٌ علىّ أن أحرِق عليه
أنفاسى ، لأصبغ الفواكه لك والزهر ؟

إنْ كان هذا ففداءُ حبك أنفاسى وما أسْفك
من دمِى . أفمن عشِق فى خدك الورد وفى ثغرك
العناب ، يضنُّ عليهما بدِماه ؟

٣٩

قمْ أيها الشاعر الحزين وبارِحْ وحْدتك.

قم غنِّ واعطفِ القلوبَ، وابكِ وواسِ الموجَعين.

فالعاشقون فى الرياض انبثوا فى انتظار ترنيم أرْغُنِك ليوقِّعوا على نغمه قُبَلهم. والأشقياء دُورَهم لزموا فى انتظار نواحه ليهيجوا دمعَهم.

قم فلقد تفتح الزهر ورنا قلِقاً ينتظر من يغازله. وشدا الطير وتوقَّف يترقب من يجيبه.

قم عانِقْ بشدوك الجدول المنساب وخاصرْ بنغمك الموج الراقص.

قم حرِّكْ نسيم الصَّبا وأوِّدِ الغصن ودحرِجْ من فوق ورقه الأنداء.

قم أوْحِ للزهر أن يتنفس رَيّاهُ وللشجر أن يتثاءب بسَماته .

وأطلقِ النحلَ من خلاياهُ يَثِزُّ للزهورِ ، والفرَاشَ من مخابئه يذهِّبها برفيفه .

ومُرِ الفلْكَ تُقْلِعْ من مراسيها وقد نَشرتْ أشرعتها البيضاء كأجنحة الحمامِ ، وبعثرْها واضْربْ بمجاذيفها الموجَ يتساقطْ على صفَحاتها قطراً كالدموع .

قم ولا تكْسرْ قلوب مريديك ولا تيتِّمْ بهجرك حسنهم .

قم لا تُخرِسْ عن البوْح ألسنة العاشقينَ ، ولا تُمِتِ القُبَل الفرِحة على شفاههم .

قم ولا تُسكِتْ فى قلوبهم الخفق الحنون ، ولا تطفئْ فى عيونهم الدموع الآلاّقة .

قم لبِّ دعوة الداعى إذا دعاكَ ، وحرِّكْ بشدوك كل شىء وبارِكْ كل شىء .

قمِ انفِ عن عين الكون الرقادَ وأرِّقْ بالحب والعذاب فؤاده .

وأذِعْ بمزمارك سره المدفون وأرسلْه بحيث ينوِّه بالجمال أينما حلَّ ويدعو للمحبة .

٤٠

تعالَ يا نايي أقبِّلُك. أجمل الأنغام أغانٍ تهديها قُبَلُنا.

تعالَ أُفشي أسراري على فمك، وأحرق أنفاسي على نارك.

أنا قلبٌ يذوب على شفتيك ويحترق. ولقد ذاب أكثره والقليل ما بقِي.

ابحثوا عني غداً في الرياض، تجدوني أغنيَةً شاكية، أو عطراً يضُوع.

فاسمعوني وانشقوا عبَقي واعذروا. وقولوا رحِم الله عاشقاً أحَبَّ فذاب!

٤١

رقَص الغِيدُ على نايي فمالِخصورهنَّ عليَّ حرام ؟

وتَكحلنَ بأحزانى فمالِي ليس لِي ذاتُ جفنٍ كحيل ؟

ولقد مشين على وردى ومشيتُ على شوكه !

وشربن نبيذى وشربتُ العلقم !

إنْ تَمِلْ للزهر أغصانٌ فلِي قلبٌ يَميل .

يتشهَّى الحب ولا يجد الخليل .

لا تكُنَّ صخوراً والصخر يلين . فلقد أرِق النجم لسهدى . وبكى الطلُّ لدمعى . والطير لنوْحى نوَّحتْ . والرياح عليَّ تناوحت .

٤٢

على فمِ مزمارى ، يفشِى ضميرُ الكون سرَّه فى أغنيَة . تطير وتطوِى البقاع كحمامة . فى نوْحها وجْدٌ وفى بحة صوتها جِراح .

وكلما مرت بقومٍ هتفوا وهتف الزهر معهم والفراش : يا حبَّها ! ذا سِرُّنا المكنون باح به هديرها وعليه نمَّ خفْقُ جناحها . فعلمتْنا مذ رجَّعتْ ما الهوى ، ورفعتْ بيننا حواجزَ يا طالما ظلت مغلقة . وإنّا لَنابذون منذ اللحظة الأحقادَ وجاعلون الحبَّ دِيننا والحسْنَ قِبْلتنا فى صلواتنا .

وإنّا لَراقون إلى الخلْد على نور فرْحته ، أو سابحون إليه فى بحور دموعه . ومبلِّغون المنى بصعودنا ، وواجدون فى رُبَاهُ مهودنا .

فوالله ما جئنا الحياة إلا لنعود بالروح من حيث أتينا ، وما قدِمناها لنلتصق بأرضها فنسفكَ الدمَ ونمكِّن للفتنة والأحقاد .

إنما الأرض موطنُ الشيطان فمن يكُنْ ملَكاً وجِيءَ به إليها ، فلا جُناحَ عليه إنْ هجَرها ، راقياً إلى العلا بفؤادهِ ، راكباً فى رَقْبِه مَتْنَ الهوى ، أو متسلقاً حبل نوره السحرِى .

٤٣

رقَص الغِيدُ على نايِى فما
لِذراعِى تُحرَم الخَصْرَ النحيلْ ؟
وتَكحَّلْنَ بأحزانى فهل
نَهَلتْ عيناى من جَفنٍ كحيلْ ؟
هنّ يمشين على وردى وأمْ
شى على الشوك وفى خَطْوِى عويلْ
إنْ يَمِلْ للزهر غصنٌ فاذكروا
أنّ لِى فى أضلعى قلباً يَميلْ
يشتهى الحسْنَ ويهوَى لثْمَهُ
فى رُبَا الروض على الظل الظَّلِيلْ

٤٤

عندما يَدق الجرسُ فى جوانب إرْزِيزى ،
فأتناولُ المِسْمَعَة لأصغىَ لك ،
لا أدرى أى طائرٍ مجهول يغنِّينى .
إننى لم أعرفكِ بَعْد .
إنك لم تقولى لىِ من أنت .
إنك كروانٌ مختبئٌ فى دَغَل ، أسمعه وما أراه .
ومع ذلك فقد استطعتُ أن أنسج من تلافيف صوتك ،
تمثالاً لك فى فؤادى .
أركع عنده إذا عز اللقاء ،
وبحثتُ عنك فلم أجدك إلا فى أطواء النغم .
نحن فى حبنا حلمان .

على مَتْن الأثير يتناجيان .
لمْ تتصافح قطُّ أيدينا .
ولا شفاهنا تلامستْ .
ثغرك أجهل خمره .
ولا أدرى ألَحْظك فتاكٌ أم ناعسٌ طرْفك .
ولكننى موقنٌ بأنك فاتنة .
وبأن الفؤاد أحَبك .

٤٥

آهِ من صوتكِ المبحوح كبكاء الناى ! كأنى بآهاته الحَرَّى شوكٌ يمر على حرير !

فديتك يا من تحلَّى نغمك بالجِراح . ولكنك مرِحةٌ ففيمَ شَكاتك ؟ مِن أى جرحٍ منسىٍّ تنبع ؟

أمِنْ جرحٍ سبَق مولدك ، وفى أعماق روحك استقرّ ؟ فلما خُلقتِ نثر الدماء على صوتك ، وأرسله بحيث يخضِّب الأسماع ؟

آهِ مِن الجرحى أُولاء ! حلاَّهم عذابهم ! وهل الحسْن إلا ألمٌ تجسَّد ؟ أمَا يُرَى يتفزز ، وينْفث السحْرَ هنا وهناك ، كأنه ثاوٍ على جمر ؟

ما إخالها سعيدةً قطرة الغيث ، التى ما تُرَى

إلا تترجرج . ولا حبة الماس باعثةُ الوهَج . إنما السعيد الماء ركَد . والزجاج نام عن سحْره واستراح . وشتان بين قطرٍ وماء . وبين ماسٍ متألقٍ وزجاج .

غردى لى ! فبحة صوتك تجرح قلبى ، كما بَعث السَّقامَ إليه جفنُك المريض . نحن نهوَى المراض اللواتى يُمْرضْننا . وإن فى بعض المرض لَجمالا . وإن فيه لَبلسماً أىَّ بلسم . بلسماً لراحة بالنا المملة .

هيّا واسكبى جِراحك فى جراحى تشْخنيها . يا ما أُحَيْلَى العذاب ! كأنى به يحلُّ عُقَد نفوسنا ، ويعود بنا إلى عهد حنيننا الأزلى . يومَ كنا أرواحاً فى حب الله تتعذب .

هيا غنينى بصوتك المبحوح ، فالسر كل السر فى بحته . السر كل السر فى جرْحه . وفى عذابى وعذابك .

٤٦

احْسِرِى القناع عن وجهك، وأرينى قسماته.

أريد أن أعرف إلى أى الزهور تنتمين، وإلى أى الفواكه يرجع نسبك؟

وهل شقراءُ أنت كزنبقة الرُّبا، أم خمرية اللون كخوْخة؟

أريد أن أعرف! أيشْبه البُرْعمَ فمُك الصغير، ويشبه الوردة خدك؟

وهل قدُّك كالغصن مياس، وكالرمانة نهدُك؟

أريد أن أعرف! أن أعرف شبَهك، لأنقشَه فى خاطرى.

حتى إذا ما سكرتُ من خمره، ونعستُ من

لحظِه ، أغمضتُ أجفانى عليه ، فينـدسُّ فى نومى ويجمِّل أحلامى .

ثم أصحو فتتفتح عيناى عنه ، كما يتفتح الفجر عن زهر الصباح .

لا تحجبى حسنك عنى . لا تلُفِّى نفسك بالضباب . كفانا فى حبنا إبهاما . فاهتكى الأسرار ، ودَعيها تنْفض عبيرها .

هيّا تَفتَّحى فى جوِّى فعطِّريه ، واطلعى فى سمائى فنوِّريها .

لا تكونى كالبرعم أغلقَ أكمامه على سره وانزوَى . كونى كالوردة أسفرتْ ، وبهرت الناظرين .

لا تخبئى قميصك المرصع بالجواهر . اخلعى خِمَارك ، ودَعى الجواهر تسطع فى قلبى .

صوتك الشجىُّ فى الإرزيز ، وخطاباتك

المعطَّرة الغلاف ، لا تعرِّفك إلىّ حق المعرفة .

شىءٌ واحد هو الذى يرفع الحواجز بيننا .
ذلك أن تُرينى وجهك .

٤٧

خرجتُ للقائكِ لا أعرف عنك إلا أنك ذلك الطائر المجهول ، الذى لبث زماناً يغرد لىِ فى الإرزيز ، دون أن يُسْفر عن وجهه . ثم مرت أيامٌ وجاء زمن ، فأذِنتِ للقناع أن يُحْسَر عنك وتكلمتِ تدعينى للّقاء .

وحملتُ القلب الولهان ، واتجهتُ إلى حديقة الضاحية ، حيث سرتُ والغديرَ الملتوى ، قاصداً إلى المقعد الذى تواعَدْنا عنده ، يُرْقص قلبى خَطْرُ الموج ، ويُبَلْبل فكرى حفيف الغصون .

وفى طريق مررتُ بخمائلَ عِدَّة ، قد اختبأتْ بها بلابلُ ما تكفُّ عن الشدو ، ذكرتْنى ببلبلى المحتجب . واتخذتُ مكانى على

المقعد الخشبي ، يحمل إلىّ النسيمُ رَيَّاك من بُعْد .

ومرت برهةٌ ثم لُحْتِ فى ثوبك الوردى . تهشُّ فى وجهك الزهور ، وتتغامز عليك الفرَاشات المختبئة .

وأقبلتِ يكحِّل جفنَك الليلُ ويصبغ العُنابُ ثغرك . وحواليْكِ من الفرْحة هالة . وعليك من الطهر إزَار .

وخطرتِ فلا واللهِ ما بزَّك الطاووسُ فى مِشْيتك . ولا جاراك الغزال فى لفَتاتك .

تَبارك اللهُ كأنك فى حسنك البدْرُ وفى خفة دمِك النسيم ! ولو كنتِ زهراً لَمَا كنتِ إلا الورد . أو كنتِ غصناً لَمَا كنت إلا البان .

وشرابٌ أنتِ له نكهةٌ وحلاوة . فهَبِيكِ الخوْخَ عصروه . أو هبيك السكَّر ذوَّبوه .

وابتسمتِ فكأن الصبح من فمك انبَلَج .
وتكلمتِ فكأن الدر فاض .
وهتفتُ أهكذا أنتِ ، جَلَّ الخالق !
يا لَضيعةِ أيامٍ لم أعرفك فيها .

٤٨

لم أكن أعرفكِ من قبل ، حين طلبتِ لقائى أولَ مرة ، وأخذتِ تصفين لى فى الإرزيز نفسك ، وتبْدعين فى الوصف ما شاء لك جمالك أن تبْدعى ، إلى أن شوقتِنى لرؤيتك فاتفقنا على ميعاد .

يومئذ جلستُ تحت الخميلة ، وأقبلتِ كفرحةٍ فرت من قلب طفلٍ غرير ، فنهضتُ وقبَّلت يدك البضة ثم دعوتك للجلوس .

ولبثنا نتناجى وكأن الزهر قد تنفس عبيرَه فى أرواحنا ، والطيرَ غرَّد لنا . فأحسسنا وكأن الكون كله يشاطرنا ما نحن فيه ، ويَعصر علينا جمالَه ليُتم هناءنا .

وما أنسَى أنْ قلتِ لى ونحن فى معرِض

البثُّ ، إنك ظللت أعواما تحلمين بهذا اللقاء ولا تطلبينه ، حياءً منك ورهبة . فأجبتك بأن جمالك وإن لم أكن رأيته ، كان أيضا حُلْمَ فؤادى المبهمَ مذ تعلَّم قلبى الخفق .

ولطالما أتتنى صورتك فى الأحلام وكحلتْ عينِى ، حتى إذا ما انتبهتُ على الضوء لا ألفيها بجانبى . فكان مثَلها كمثَل حمامةٍ دأبتْ على أن تحطَّ فوق نافذتى وتغرد ، وكلما هممتُ بصيدها طارت واختفت فى خمائلها النائية .

عندئذ ضغطتِ يدِى وضغطتُ يدك ، وتنهَّدنا كلانا ، ورنونا كلٌّ لصاحبه وقد أودعنا نظراتنا ظمأ الليالى التى انسلختْ من عمرنا دون أن نلتقى .

ثم أزف موعد الانصراف فافترقنا ومرت لحظة الحلم ولم تعد . وكان ذلك لقاءنا الأولَ والأخير .

ولقد أرْزَزْتِ لى عقب انصرافك تقولين إن يدك ما تزال ترتجف من أثر قبلتى ، وإنك قد أغلقتِ على نفسك باب مخدعك لتعيشى مع أحلامك فى وحدة .

ثم انقطع الحديث فجأة ولم أدرِ السبب . ولم تحدثينى بعدها ، وظل أمرك طلَّسْماً يحيرنى ، وحبك عذاباً يقضُّ مضجعى .

ولو عرفتُك لطرقتُ بابك غير مُتَوان ، وعفرت جبهتى على عتبته . ثم سألتك الصفح إن أكن أذنبت ، أو حلَّ اللغز الذى أعجزنى حله .

ولكنى لا أعرف الحى الذى تضوع فيه أنفاسك ويغرد صوتك . ولا رقمَ ذلك الإرزيز المقنَّع الذى تُسِرِّين إليه بنجواك فيحْملها إلى من تريدين دون أن ينمَّ عن نفسه . بل إننى لا أعرف حتى اسمك الصحيح ، ولا إلى أى الأسَر تنتمين .

فقُولى لى بربك : أحُلْماً كنتِ أم كنتِ حقيقة ؟ وبشَرٌ أنتِ أم ملَكٌ هبط من السماء ، ليُسعدنى لحظة ويختفى ؟

فإن تكونى بشَراً وفى اليقظة لا فى الأحلام أتيتِنى ، فقُولى لى ماذا حدث ، حتى تدنى من فمى الكأس ثم تنتزعيها منه قبل أن تلمسه ؟

ماذا حدث لتعلمينى عشْق العيون السود ، ثم تحرمينى إياها ؟ وتلوّحى لى بفمك الجميل ، لتُرينى أن من الثغور لَمَا يشْبه اللُّوتَس ، ومن الشفاه لَمَا هو فى حمرة العَنْدَم ، ثم تنأىْ به عنى وتتركينى بحسرته ؟

أوَّاه ! لم يزل ملمس يدك يخدِّر أعصابى ، ورنة صوتك الرخيم تسكر أذنى . ولم تزل أنفاسك تَعصر فى روحى عطرها ، ووقْع قدميك يدقُّ فى قلبى ويزلزله .

فجِّرينى يا فتنةَ الأيام : ماذا أصاب حبنا ؟

وهل ما يزال حيًّا فى فؤادك ، أم أنه انطفأ كدأبه فى قلوب الغيد ؟ وهل ما تزالين فى ثياب العافية وتضنّين بحبك علىّ ، أم أن شرًّا أصابك وعن لقائى أقعدك ؟

فُضّ فمى إنْ بمكروهٍ ذكرك ! ولكنْ ماذا أقول ؟ لقد حيرتنى ! لا الحب إن صدق يُطفأ فى لحظة ، ولا الكذب بدا يومئذ فى حديثك . فماذا أصابك ؟ ماذا حدث ؟

٤٩

عندما يأتى الربيع ،
ويَعطف قلبينا أريجُ الزهور ،
سأخرج وتخرجين يا حبيبتى المجهولة ،
يفتش كلٌّ منا عن صاحبه .
يَهدينا عبيرُ أرواحنا ،
كما هَدى العطرُ الفرَاشَ إلى زهره .

سنهبط الرياضَ الفسيح .
ونجوس خلال نماشٍ عِدَّة .
وعلينا من الشوق ضنى .
وبأعيننا وجْدٌ وقلَق .

حتى إذا ما أذِن القضاء ،
ألفينا نفْسَنا وجهاً لوجه .

فينظر كلٌّ منا للآخر فى وَلَه .
وأبتسم وتبْسمين كأننا متعارفان .

وعندما أدعوك لمرافقتى ،
ستُطرقين كوردةٍ خَجِلة .
ولكنك ستمنحيننى يدك .
وعندئذ نسير جنباً إلى جنب .
بين صفَّين من زهورٍ ملوَّنة .
تُخال وقد رَفَّ فوقها الفرَاش ،
وصيفاتٍ أمْسَكْنَ شموعا .
على حين يطنُّ فى أذنينا النحل .
وتزفنا الشحارير بأعذب نغم .

حتى إذا ما أوينا إلى خميلة ،
تبادلْنا من الفم أول قبلة .
وعندئذ نسجِّل فى لوح الغرام .
قصةَ حبٍّ جديدة .

٥٠

إلى أين أيها الغزال الشَّريد؟ قِفْ عدْوك، وتعالَ تَفَيَّأْ ظلى. فهنالك فى حنايا أضلعى، شجرةٌ وارفةٌ وعينُ ماء.

تعالَ أَعكفْ عليك، وأُغرقْك فى كأس حنانى.

تعال أجعلِ القلب مثواكَ وأُقِمْ منك فيه صنماً أعبدُه.

تعال أجمعْ لك الفل فى الصباح، وأنظمُه لك أكاليل.

وأغازلْك بقُبَلى وأصبغُ خديك بورد الخجل.

تعال تعال أحبك!

لك الله ! أجفلتَ كدأبك ، ولم تُلقِ بالاً لتوسلى .

ليت شِعرى أىُّ عبَقٍ مبهمٍ يناديك ، فقفَوتَ أثره ؟ لهْفى عليك يا من سيظل عدْوك أبديا ! أجَل ، إنك لن تقف الدهر . لأن العطْر الذى ناداك ، فيك أنت وما تدرى !

فى عيونك السود ، وجفونك الكحيلة ، فاتنٌ سَبَاك . فياويحك يا من عشقتَ نفسك ياويحك ! إنك لن تبْلغ غاية ، ولا ظمأً تُروِى .

شاربُ دمِه لا يتغذى . ولَبئستِ النار تأكل بعضها ! لَبئس الأمل يولَد بين أيدينا !

ليتك يوماً تفيق ، فتعلمَ أن الظل الذى شُبِّه لك يعدو معك ، وأنكما لن تتقابلا . فتهتفَ وعلاَمَ يا ربِّى العناء ، ثم تأوى إلى ظلى !

ولكنك واأسفَا لن تفعل ، لأن الخمر الذى أسكرك ، يتدفق من حشاك . مسكينٌ لن تذوق

العشق عمرك ! كأسك صرفتْك عن كئوسنا . فسقيتنا وشربتَ ، ولكنْ من خمرتك .

إنك ذيّاك الجميل ، الذى تيَّمَنا وتَعافَى إلا مِن هوى نفسه .

إنك القمر لم يجد من يسبيه ، فسبانا وبحسنه شُغِل .

إنك الشقيُّ أشقيتَ نفسك ، وكتبتَ الشقاء على سواك .

إنك الجمال تَسامَى فلم يجد كفئاً يعشقه ، فوضع قلبه فى كفِّه وانطلق يبحث عن أملٍ مفقود ، ولم يجده وظل يعدو ، وداس فى طريقه حَشْداً من قلوب .

٥١

هل تعلمين وأنت تسيرين فى الطريق غير مبالية ، والفتنةُ تقطر مع كل خطوةٍ تدبِّين بها ، أن ثَمَّةَ عاشقاً برَّح به الهوى ينتظرك ، وقد كلَّت قدماه من طول ما وقف ، واضطرب بصره من كثرة ما حَدَجتْه العيون المتسائلة ؟

وأنه يجيئك كل يومٍ من أصقاعٍ بعيدة ، لمجرد أن يظفر منك بنظرةٍ يختلسها وأنت عابرة ، غير عابىء بما تجشَّم فى سبيلها ، وبما يتركه جهلك إياه فى قلبه من ضنى ؟

وهل تعلمين أن عينيك الناعستين هاتين ، قد أيقظتا فى أثرهما ألْف عينٍ وعيناً ، وأن كل القلوب تعرف دَقة قدمك ، وتميِّز عبيرك من بين ألْف عبير ، رغم أنك لا تعرفين أحداً

البتّة ؟

وأنك وأنت تسيرين لا تتلفتين يَمْنةً أو يسْرة ، ولا ترفعين عينيك لمخلوق ، ما يكاد طيفك يلُوح من بعيد ، حتى تشرئبّ الأعناق لرؤيتك ، وتوشك أن تلتهمك العيون ؟

وأنك ما تجاهلتِ ما حولك وسرْت بين صفوف المعجبين كملِكة ، إلا بعد أن وثقتِ بأن كل شيء حتى الحصى يعرفك ، وعندئذ اطمأن جمالك إلى نفسه ونام ؟

٥٢

يا جميلةَ نقْلِ الخُطا نظرةً إلى مقتفى أثرك !

ويحهُ من مسافةٍ بعيدة يتْبعك ، وهو راقص القلب على وقْع قدميك !

كم دستِ قلبه كلما نقلتِ على الأرض خطوة ! وشرَّدتِ من لبه كلما لوَّحتِ بذراع !

وكأيٍّ مِن شعاعٍ مِن لحْظك أرسلتِه ، هرب إلى فؤاده فكواه ! أو بسمةٍ من ثغرك بعثتِها ، فرت إليه فمزقتْ نَسْجه !

وكأيٍّ من رنةٍ من خلخالك دقَّ لها ! أو همسةٍ من أساورك أثارت خفْقه !

ما ذهب مع الريح من فتْنتك شيء ، وإنما سجَّل نفسه فى قلبي . حتى أشعةُ كفك البيضاء

تملأ عينِى وترقّص إنسانها . حتى تَثنّى خصرك اللدْن ، تقوم له فى أوصالى قيامة .

ليتك لا تحطّين رِحَالك ، وأظل أضرِب وتضربين فى الأرض هائمَين ، يشُدُّنى إليك حبلٌ من نورٍ غير منظور ، يجْدله حسنُك . ويشدك إلىّ حبلٌ من رفيف قلبى المعذب .

ثم تَعطفين ، ونواصل السير ذراعاً فى ذراع . ويكفُّ حسنُك الهاربُ فى قلبى عن أذاه ، ويرقُّ فيه ويتبسم .

وأبِيتُ ليلِى لا أصدق أن المُنَى التى وُلدتْ فى لحظة ، قد تحققتْ فى طرفة عين . وأن غرْس الليل يُؤتِى أُكُلَه فى الصباح .

٥٣

مُرِى أقطفْ أنضر أزهارى ، وأفرشُ بها أرض حجرتك . وأبعثْ بأجمل طيرى يغردُ عند نافذتك .

مرى أعصرْ من زيتونى زيتَ مصباحك ، وأوقدُه لكِ بوهَج جواهرى . وأصبغْ بوردى فجرك ، وأقطّرُ من لؤلؤى أنداءه .

مرى أُقِمْ من أغصانى مقعدك ، وأغرسُ لبلابى يعرِّشُ فوقه . وأحُكْ من حريرى عربتك ، وأرسلُ طواويسى تجرها لك .

مُرى أملأْ من زئبق بحيرتك ، وأوفدُ نسَماتى تموِّج سطحها . وأصنعْ من أبنوسى زورقك ، وأجعلُ من عاجى نقوشه .

مرى أُجْرِ من فضتى جداولك ، وأرصِّعُ

بزبرجدى شطآنها . وأتوّجْ بذهبى رُباك ، وأنثرُ يَواقيتى على زهرها .

ثم ألبس الأسمال وأقف ببابك ، أستجدى كلمة شكرٍ منك وأنصرف .

٥٤

إنْ رُمْتِ سبْحاً ، فاملئى من دمعى بركتك ، والهَىْ فى مائها .

أو رمتِ زينة ، فاصبغى من دمِى وجنتك ، واسبى العقول .

ومِن عروقى شُدِّى أوتار قيثارتك ، واعزفى .

ومن شَعرى اجْدِلى لكِ حبلاً ، ونطِّى فوقه .

واصنعى وُقِيتِ من جلْدى تمائمك ، إنْ خفتِ الحسد .

واحرقى فديتُكِ من قلبى بخورك ، واطردى الجن .

وإذا ما يوماً أجيئك أشْحذ نظرة ، فارفعى عينيك إلىّ وسلينى : من أنت ؟

٥٥

لم أكد أراك تتبسمين كزهرة ، حتى خلتُ كأن آلاف القُبَل المختبئة فى قلبى ، قد طارت منه كفراشاتٍ ترتعش ، وحطَّت على ثغرك .

وعلى الرغم من أن رفيف أجنحتها كان من نورٍ لا يُرَى ، فقد هدَتك فطْرتك إلى ذلك الوافد الجديد ، فاصطبغ خدك بحمرة الخجل ، وتململتِ فى مقعدك كأنما لتنحّيها .

ولكنك ما جرؤتِ على هذا إلا لأنك مطمئنة إلى أن دَلَّ الزهور لا يثْنى الفراش عن كَلَفه بها ، وأنه كلما أُبعِد عنها عاد إليها وهو أشد لهفة .

إنك لَتحاولين إخفاء رِعشة شفتيك تحت قُبَله التى تدغدغ إحساسك ، لتبْذر فيه الحب

وتُمكِّن له فى تربته .

إنك تتنهدين متظاهرةً بأنك تَودِّين اقتلاع هذا الغِراس ، على حين أنك ما فعلتِ هذا إلا لتجعليه يتنفخ فى صدرك ، ويتغلغل فى كل مساماتك .

إننى أفهم مكرك . إنك سعيدةٌ لأنك ظفرت أخيراً بتلك الفراشات التى حدثتْك عنها غريزتك ، والتى رأيتِها فى الأحلام منذ أن كنتِ بُرْعُماً لم يتفتح .

الحياء وحده ، ورهبة الجديد ، هما اللذان يمنعانك من البوْح بمكنونك . ولكنهما لم يمنعا قلبينا من أن يغنِّيا فى السر أغنيَة الحب معا ، وبصوتٍ لا تسمعه إلا أذنانا .

٥٦

هل تعرفيننى كما أعرفك ، يا من تيمتِنى العمرَ وما تدرين ؟

وهل تَـرينى كما أراك وأنتِ على الشاشة البيضاء تبْـذرين الفتنة ، فتَـلْـمحى فى عينىَّ بريق الصبابة ، وفى حركاتى اضطراب الهوى ؟

وهل أنت حقـًّا تلك المِكسيكية وأنا المصرى ، وأنَّ كلاًّ منـا يعيش على قارة ، وتَـفصل بيننا بحار ؟

وهل كان حتماً أن تلعبى أمامى « رَمُونا » ، ذاتَ العيون السود والجفون المخْـمَـليَّـة ؟

وتلعبى بعدئذٍ دوْرَ غادة الأدغال ، فتفتنينى بمزاجك الحادِّ ورقصك الهمجى ؟

وهل أنت حقـًّا « عصفورُ الجنة » ، الذى

نقنع على الدنيا بطيفه ، وما نراه إلا فى الفراديس ؟

وهل قضَى الله أن أحبك رغم بُعْد الشُّقتين ، فأظل دهرى أتعلق بالوهم المستحيل ، ثم أقضِى غريباً عن فؤادك ؟

وهل هكذا الدنيا بحرٌ خِضَمٌ ، لا تَعرف الموجةُ فيه الموجة ، إلا أن تشذَّ إحداها وتتطاول بعنقها ، فيميزها عن أترابها سائرُ الموج ، رغم أنها تظل على جهلها بوحداته المغمورة فى الزحام ؟

وهل تلك سنَّة الحياة قضت بأن يعيش سكان الكوكب الواحد غرباء ، إلا مَن اصطفاه الله فعرَّفه إلى عباده ، ولم يعرِّفهم إليه لينقعوا من ودِّه غُلَّةً بالفؤاد ؟

٥٧

خذينى تابعاً لك ! أسير فى رِكَاب أيامك ، وأنْشق فلولَ عبيرها .

فأمشِّطُ كلبك المدلل ، وأربط الشريط الأحمر فى عنقه .

وأقدِّمُ العشْب لحمَلك الصغير ، وأنثر الحَبَّ فى أقفاص طيورك .

وأقطفُ لك الزهر فى الصباح وأرتِّبه فى أوانيه . وأنْظمُ من نُخَبِه قلائدَ أزْلقها فى جِيدك .

وأعصر من الفواكه شراباً أقدِّمه لك فى كئوسٍ من فضة . وأشرب ما تَبَقَّى فى قرارتها منك .

وأكنس لك مَماشى الحديقة حيث تمرين

لتتفقدى زهورك ، وألثم وراءك الآثار التى تطبعها خطَواتك .

وأملأ لك الحوض الذى تستحمين فيه ، وألعق بَعدك القطر الذى تساقط من جسدك .

وأنظّف لك المقعد الذى تجلسين عليه ، وأجلس القُرْفُصَاء عند قدميك .

وأصيد لك الفرَاش المذهّب الجناح . وأجمع لك القواقع ذوات المَحَار .

وأأرجحك فى ظل الغصون ، وأظفر من جسدك الناعم بلمَسات .

وأناولك قيثارتك وأتوارى خلف الشجر ، أسمع ما يتناهَى إلىّ من نغمها .

وأخفُّ إليك كلما دعوتِنى بعبدك . وأهتف إذ أمْثل بين يديكِ : لبَّيْك !

وأُلْبسك إذا نهضتِ معطفك ، وأحمل لك

ما قطفتِ من زهرٍ وفاكهة .

وأتلقى منك أوامر الغدِ وأنت صاعدةٌ إلى مخدعك ، وأشكرك فى قلبى .

ثم أجلس تحت نافذتك وأنت نائمة ، أراعى النجوم وأحرسك .

٥٨

حرامٌ يدُكِ الجميلة تَفْلح الأرض . هذه اليدُ ما خُلقتْ إلا للقُبَل .

حرام تدوس قدماك التراب ، وما خُلِقتا إلا لتطآ جباه العاشقين .

حرام لا يطوِّق معصمَك سِوَار ، ولا يضيء بإصبعك خاتَم .

حرام لا يرنُّ بساقك خلخال ، ولا يتدلَّى من أذنك قرْط .

حرام لا يغطِّى كتفيك الحرير ، ولا تنتعل قدماك المخْمَل .

حرام لا تسيرين على الورد ، ولا تركبين المرْكباتِ الذهب .

حرام لا تجلسين على الأرائك ، ولا تتوسدين

ريشَ النعـام .

حرام لا تسكنين القصور ، ولا تملكين الرياض الفسيح .

حرام لا يغنّى بحسنك الشعراء ، ولا ينحت التماثيلَ لك المثّالون .

حرام لا تؤلّف عنك القصص ، ولا يكون حديثك شُغْلَ الناس .

حرام لا يُنشِد الحُداةُ بكِ ، ولا يشدو الملاّحون فى اليَمّ .

حرام لا يكون للحظك قتْلَى ، ولا لرحيق فمك سُكارى .

حرام لا تزخر الجداولُ بدموع عشاقك ، ولا تُوقَد النار من حُرَق قلوبهم .

حرام لا تميس الغصون إن خطرتِ بينها ، ولا يتبسم الزهر إن رأى طلْعتك .

حرام لا يَسكب الفجرُ لذكْرك الأنداء ،

ولا يتلهَّب الشفق من شوقٍ إليك.

حرام لا يغرد لقربك البلبل، ولا ينُوح لبعدك القُمْرِى.

حرام لا تجلسين على عرش الجمال وتأمرين فى القلوب وتنهيْن حرام!

٥٩

بفؤادى على كثرة مَن عرفتُ مِن الغِيد ظمأ . فياويحك يا من ضيَّعتَ عمرك فى العشق وما اهتديتَ لمحبوبك !

أين منكَ أين فتاةُ أحلامك ، وفى أى ناءٍ من البلدان تعيش ؟ كأنى عندما تثاءبتْ عناً مشيئة الخالق ، ألْقت بنا كلٌّ فى مكان ، بعد أن عَطَفتِ الروحَ على الروح ، والخيالَ على الخيال .

هى سمراءُ وربِّى غير أنى لم أجدها فى سُمْر الخدود . سوداء العينين لكننى لم أرَها فى سُود العيون . عَنْدَمىٌّ ثغرُها لكنها لم تكن فى اللواتى لثمتُ ثغورهن العندمية .

فيها غير هاتيك السِّمات شىءٌ تنفرد به . شىءٌ أجهله ويعرفه فؤادى ، ولا يستطيع له تصويراً ويتعذب .

فمتى متى يا منى القلب تجمعنا الأقدار ، ويعثر الضالُّ على ضالته ؟ إن كنتِ فى الغاب تعيشين ، فقُولى لى أضربْ فى مجاهله وآتيك . أو كنتِ فى الجزُر النوائى ، فقُولى أركبْ لك البحر وأجيئك . أو كنتِ من حيِّى وبنات جيرانى ، فتعطَّفى وصادفينى يوماً فى طريق ، أو ألهِمى قدمىّ أن تقصدا نحوك .

قُولى لى أين أرضك ، أقتحمْ فى سبيلك ألف خطرٍ وخطر ، وأيمْ شطْرك لا أحطُّ رِحَالى إلا أن أبْلغك ، ولو أفنيتُ عمرى فى الأسفار .

حتى إذا ما وصلتُ وشمسى تنحدر للمغيب ، وقد تهلهلتْ ثيابى وتخضبت قدماى بالجراح من طول السفر ، ألقيتُ بنفسى فوق صدرك الحنون ، وسألتُك أن تدعينى أطفىء على فمك ظمأ العمر بقبلةٍ واحدة ، أُودعها ما تبقَّى من رمَقى ثم أسْلِم بين يديك أنفاسى وأموت .

٦٠

أفَحتمٌ عليَّ أن أراكِ بعد أعوامٍ عِدَّة ، افترقنا فيها على الضنى ، فأذْكر الأيام التى جهدْتُ فى أن أحجب ذكرياتها عن عينِى ، والبقاعَ التى احتوت قديماً حبنا ، والتى أضحت مذ خلَت منا خرابا ؟

وأن تسألينى عن حالى فأجيبك والدمع فى مقلتىَّ يترقرق ، أن قلبى قد دفنتُه على أثر نأيك ، وأهلى أودعتُهم القبور واحداً إثْرَ واحد ، ثم عشتُ غريباً لا حبَّ يؤنسنى ولا أهل ؟

وأن كل شىء فى حياتى تغيَّر ، فماتت البسَمات على فمى ، وسكتَ القلب الذى كان دائب الخفق . وحتى دموعى الهتَّانة نضبَت ، فما عادت تنسكب وتَغسل فى قطرها أكدارى ؟ واكتست الدنيا

فى عينى بضبابٍ قاتم حجب عنى شمسها الساطعة، كما حجب عنى الزهر والأطيار، فما عدت أبصر من ألوانها إلا ظلمةً تتشابه، ولا أسمع من نغمها غير صمتٍ مُوحش؟

وأنى أعيش الآن كالتمثال الحجَر، لا يَطرب لشىء ولا يتألم من شىء. ولكنه وقد احتضَن موتَه بين جنبيه ونام، قد احتبستْ فيه هذة الحسرةُ الصامتة، التى لا حرقةَ تصهرها ولا تذيبها دموع. فكانت كالهمِّ سواءً بسواء، إلا أنها تقيم والهم يرْحل، ويتنفس الهمُّ وتحبسُ أنفاسها؟

لماذا لحتِ فى سمائى مرة أخرى، وسرَّبتِ من تيار الحياة فى جسدى الميت، ما لن يُنهِض عظامه النخرة، ولا هو يتركها هاجعة فى سلام؟

لماذا داعبتِ بالنور أجفانه المغمضة، وأزعجتها فى نومها الهادىء؟ ونبشتِ فى قلبه جمراً قد كان شبع فيه حزًّا وهمد، فأعدتِ تعذيبه سِيرته الأولى؟

لماذا لم تتركينى أنْعمُ بهذه الراحة التى هى كل ما ينْعم الموتى به ، وكفانى ما ذقتُ من بُعدك وقطّع قلبى ، وما ذقتُ من الأحداث الأُخَر ؟

واحَرَّ قلبى ، ما تزالين جميلة ! وعلى رغم كَرِّ الزمان صبيَّة ! فخبِّرينى وقد جئتِنى : أمَا يزال فى مَعِين هوانا قطرةُ حبٍّ باقية ، نندّى بها شفاهنا ؟ وهل تستطيعين أن تَسقى بها مَوَاتَ فؤادى فتعيدى الحياة إلى جذوره وتخضِّرى ورقه ؟

بنفْسى أن نعود لحبنا ! بل إنى لَأخشى أن أكون على هواك مقيماً ، وأن يكون الغرام الذى مات قد تَرك بذورَه على التربة المهمَلة ، فى انتظار قطرة غيثٍ تهزها بالنبت .

إنى لَأخشى أن يكون هذا وأخدع نفسى لأتخلص من تبِعات الهوى . آهِ من العجز آهٍ وما يَجرُّ علىّ ! كلما ذكَرتُ قلة حيلتى ، ذكرتُ

الأيام التى قدَرتُ فيها فأتعذب. وإن عبْءَ العجز لَشديد، وأشدُّ من عبء الغرام إذا حُمِل. فإن للحب أجنحةً تهمُّ به فيخفُّ حَمْله، ولكنّ طيْر العجز مَهيض الجناح.

احتجبي عن عينيَّ بالله! وَعودى للبلد الجديد الذى نزحتِ فى الماضى إليه، ودَعِى المضنى يرقد وحده فى سلام، وقد تدثَّر بعباءة النسيان التى تحجب عن قلبه فتنة الدنيا.

مالى ولِلفتن! ذاكَ كان زماناً ومضَى. إن بسَماتك لَتنقلب الآن دموعاً فى قلبى. وحسنَك لَيرسب فيه حسَرات.

٦١

كأنما حين رأيتكِ بعد فرقة أعوام ، قد انبثق فى عينىّ فجْرُ ماضٍ بعيد ، طالما عرفه قلبى قبل أن يغيب عنه ردحاً من الزمن ، وعاد يلفُّنى فى نوره .

وما كدتُ أن ألثم ثغرك ، حتى تذوقتُ فيه طعماً لا أجهله ، وهبَّ علىّ منه نسيمُ عطْرٍ قديم ، تذكرتُه على الفور حين نشقْتُه .

وكأنى بقلبى بعد أن دُفِن تحت طيات الهجر ، قد نفَّض عن نفسه سجوفَ الرقاد ، وتثاءب يستقبل الحياة من جديد .

٦٢

لقد تركتِني وأنتِ بُرْعُمٌ مُغْمَض، ثم أُبْتِ إليّ بعد غيبةِ أعوام، فإذا بأكمامك قد تفتحتْ عن ورقها، وإذا بك زهرةٌ تتبسم وتملأ الدنيا فتنة.

وإذا للفرَاش على حواشيك رفيف، وللنحل على كأسك ملتقَى.

وإذا بالطيور تتزاحم على غصنك وتغرد لك. ونسيمِ الصَّبا يتحرك ويبثك أشواقه.

حتى غصونُ الدوح مالت تعانقك. والموجُ شبَّ ليلثم قدمك.

ولقد غازلك القمر إذ تنبه لك. وخفَق لك النجم إذ رآك.

ولم يبقَ مُولعٌ بالجمال إلا وقد غمَز لك

بحاجب ، أو أشار إليك بإصبع .

فياويلَ بلبلك القديم من دنيا دانت لكْ ، ومن كثرة العشاق على سامِرِك ! ويا ما أمَرَّ الذكرى ذكرَى حبنا فى أيامه الخوالى !

كان لِى بالأمس غصنُك الرطْب ، أحطُّ عليه وحدى وأغرد ، وأعلِّم قلبك كيف يخفق للنغم ، فهل لىَ اليومَ على غصنك الميادَ موضعٌ لهبوطى ؟

وهل تذْكرين بعد أن عرفتِ ما النغم ، تلك النغمةَ القديمة التى كانت أول ما طرق مِسْمعك ، وتميزينها من بين آلاف الأنغام التى تنسكب فى أذنك كل يوم ؟

وهل تجدين فيها عذوبة النغم الأول ، وبشاشة الزهرة المبكِّرة ، فتؤْثريها بحبك ، وتمنحيها قلبك دون العالمين ؟

٦٣

عندما تكبَر أفراخُ الطير ، ترفرف وتفارق أعشاشَها .

عندما تتفتح البراعم ، يكثر عاشقوها .

عندما يتعمق الجدول ، يُغرِق من يسْبح فيه .

عندما تَبْسُقُ الأشجار ، تنأى عنا فواكهها .

وهكذا عندما كَبرَتْ طفولتك ، ورفَلتِ فى حُلَل الصِّبا ، أفلتِّ من بين يدىّ ، وشاركنى فى هواك الطامعون ، وانقلب أمْنُك خطَرا ، والقريب منك بعيدا .

بالأمس كان جمالك يَعصر فى قلبى بسَماته ، ولكنه ما يعصر اليوم إلا دموعى فيه .

٦٤

ماتت ! أولُ من خفق لها القلب !

ماتت ! مَن كانت لحياتى فجرَها ، ولزمانى ربيعَه !

ماتت فى شَرْخ الصِّبا وأوْج الجمال ، وأسلمتْ للريح عطرها فى ليلة ، ولم تتركه للأنسام تأخذ منه على مَهَل . وغطت بورقها الأديم ولم تدعْه يسقط ورقةً ورقة .

وراحت ولم يزل فى كأسها عطرٌ لم يضُع ، وفى كِمِّها أوراقٌ لم تتفتح . ولم يزل للفَراش حولها رفيف ، وللطيور على غصنها سامِر .

فبكيتُها على رغم الخصام وبكتْها الدنيا معى . ونسيتُ أنها غدرتْ بى ، وغفرتُ من ذنبها ما سَلَف .

فياليتها أُمهِلتْ لشبابها ، ولو لتظلَّ للعشاق الأُخرَ ! ومرَّغتْ على جمر الجَوَى قلبي ولم تحرقه بنار الفراق .

٦٥

ها هو ذا التراب يحفر لكِ حفرةً فيه ويعمّقها ، ليضعك داخلها ثم يُهيل نفسه عليك .

وهكذا ينطوى الجمال فى طرفة عين ، فتَخمُدُ جذوةُ الفتنة ، ويَبْطل سحرُ الجفون ، ويَذوِى فمٌ فى لون الورد ونعومة البراعم .

وهكذا تُنشِبُ جوارحُ الطير مخالبها فى صغاره ، فتُسكِت أصواته الغرِّيدة ، وتُذْرِى ريشَه الجميل فى مهب الرياح .

وهكذا تُعَدُّ وليمةُ الموت من الأجساد النواعم ، بين صرَخات الألم وتوسلات الدموع .

٦٦

لقد كنتِ بستاناً وذبُل ، غير أن أزهاره التى قطفتُها ، لم تزل حيةً فى فؤادى ، وإن تكن قد زايلتْها بشاشتها الماضية .

وكأن أطياره التى هَجرتْ دوحها ، قد عشَّشتْ فى قلبى وقد انقلب شدوها نوْحا . وغدرانَه التى جفَّت ، عادت تنبع فيه وتُواصل جريانها ، بعد أن استَبدلتْ بخريرها المرِح أنيناً حزينا .

وهكذا غربت شمسك ، لتطْلع كسيفةً فى سمائى . وأفَلتْ أنجمك ، لتَظهر فيها كابية . وما ذهبتْ ريحك إلا لتجِىءَ قلبى تتناوح . ولا فرت أيامك إلا لتلوذ بى مذعورةَ الخُطا . فأُؤْويها ، وأطمْئن خوفها ، ثم نجلس معاً وقد ودَّعنا أيام

الصفاء ، ننفخ فى نايِنا الشاكى .

لم يمُت منك شىء ، إنما حالَ وتَبدَّل . لم تَسكنى الأجداث لـكنْ سكنتِ فؤادى . الخيط الذى كان يصل بيننا فى الحياة ، ارتدَّ إلىَّ طرَفُه الآخر مذ تراخت يدُكِ عنه ، جاذباً روحك معه . جسدٌ واحدٌ ضمنا فى النهاية .

فهل قهرْنا البِلَى بهوانا لنجعلَ منه شيئاً خالدا ، ونجعل عذابنا فيه أبديا ؟ فعندما طاردك الموت كما يطارِد الصيادون حمامة ، أبيْتِ أن تقعى فى شِباكه ، فهرعتِ إلى قلبى مهيضة الجناح ، واتخذتِ منه وكراً لك ، لتبعثى فيه من نواحك الحزين ، وتحركى بالأسى أوتاره ؟

٦٧

إن لحَظات السرور التى متعتِنى بها فى حبك ، قد وضعتْ بين يدىَّ أجمل ما فى الدنيا من زهور .

والليالى التى قضَيتُها مسهَّداً فيه ، قد طهَّرتْ نفسى بما سكبتْ من عينىَّ من دموع ، وقربتْنى من الخلْد خطَوات .

فإذا ما تركتُ الآن دنياى ، تركتُها لا شىءَ فيها أشتهيه ، واستقبلتُ الموت وقد ضمنتُ لنفسى مقعداً فى الجنة .

إن مثَلى كمثَل زهرةٍ أمْضتْ فى الهوى ليلةً آثمة ، فلما أتى الصبح غرقتْ فى الندى . فإذا ما قطَفها بعد ذلك عابرُ سبيل ، ليسترْوح فيها عبيرَ الحب ، ذهبتْ إليه وقد اغتسلتْ فى

دمعها ، فلم يَنْشق فيها إلا نقاء .

ولولا حبك الذى أذاقنى حلوَ الحياة ومرَّها ، لاجتزتُ سفرَها دون أن أظفر بدنيا أو آخرة .

٦٨

إنى لأراهم وأنا فوق سفينة الحياة أمْخر عُبَاب الزمن، يتراقصون على موجة اليوم الذى رَحلوا فيه.

وكلما طلعتْ علينا شمسُ يومٍ جديد، ازدادت السفينة بى بُعداً، حتى تضاءلتْ أمامى وجوههم وخشيتُ أن تغيب صورهم عن عينِى.

أولئك هم رفاقى الذين تخلفوا عن رَكْب الحياة، وآثروا الرحيل إلى الشاطىء المجهول راكبين مَتْنَ الموج.

فيا زمانى لا تكُرّ، ويا سفينتى قِفى، فكل يومٍ يمر يزيد نأياً ما بيننا.

ويا أمواجُ خذينى وألقِى بى على صخور ذلك الشاطىء الذى ثَوَوْا فيه. واجمعى فى أجداثه جثثنا كما جمعتِ بيننا فى الحياة.

٦٩

قالت الدنيا ابتهِجْ ! إننى نسيان ، وسأنسج خيوطى على حزنك .

قلت ويْحك ! أمَا كفاك أن سلبتِنى أحبابى ، حتى تراودينى على سلب ذكراهم ؟ أوَ تريدين أن يصبح محواً هناءُ هاتيك السنين ؟

قالت أوَلم يصبح بَعْد ؟ ما هذه الأوهام التى تدعوها ذكريات ؟ لقد ذهب كل شىء ، ولم يبقَ إلا لوعتك . إننى ما جئت لأسرق جديدا . وإنما جئتُ لأكفكف دمعك ، وألُفَّ فى شعاع فتْنتى ضباباً يكسوك .

قلت بل لتسرقى هذه التماثيل . تماثيلَ النور التى أقمتُها بفؤادى لمن فارقْت . إنه تَذهب الأجسام . وأما النور الذى بعثتْه ، وأما الفكرة

التى عليها انطوت، فباقية. أجَل باقية، لأنها أثيرٌ يَزيغ فى أثير أرواحنا الخالد، ويخْلُد معه. ولقد أزغتُ فى الروح أرواحَ رفاقى الأُلَى ودَّعوا، بعد أن جسَّدتُها على صورهم الراحلة، وجعلتُ منها تماثيل. فأنا أحيا معهم الآن وأراهم. ويناجوننى وأناجيهم كما كنا، يومَ كانوا وكانت لهم أنفاسٌ تتردد. وما ضرَّنا أنَّا نتناجى بلغةٍ أشَفَّ، ونلتقى على صورةٍ أعمق.

قالت لِيكنْ. إذَن فلقد جئتُ لأسرق هذه التماثيل. لأسرق هذه الدُّمَى، وأُحِلَّ محلها عرائسَ تنبض بالحياة. إن معى بالباب لَحبًّا جديداً ينتظر. وسأدعوه ليقتحم فؤادك، ويحطم أصنامك هَذِى. ثم يقيم مكانها تمثالاً من نوره، لا يشوبه ذلك الهزال الذى خلَعه عليها النأْى. النأىُ الذى صار إليه ذوُوها.

قلت أتراودينى على أن أستبدل الأجَدَّ بالذى

هو أعرق ؟ مرهونةٌ بالقِدَم هاتيك القِيَم. ولعَمرى ما اكتسبتْ تماثيلى قيَمها ، إلا لعراقة أربابها فى قلبى. إن للقديم لَحرمة. وما القِيَمُ إلا مِن تراكم السنين. لأنها الدهر عندئذ وقد اكتَنز من نفْسه. لا جديدَ يساوى قديماً على الأطلاق. نحن أنفسنا تلافيفُ أزمنةٍ تتراكم. أوَأقارَن إذ كنتُ صبيًّا بما أنا عليه الآن ، أنا الذى التهمتُ فى قلبى ما سلختُ من أعوام؟ وبعد هذا تريدينى على أن أتنكَّر لقديمى ، وأنسى الأُلَى عاصروا مولدى؟ ما أنتِ بجميلٍ صنيعُك ، ولا بكريمٍ مَحْتِدك. اذهبى! أفَقدْ جئتِ تعلمينى الغدر؟

قالت نعَم ، فتلك شيمتى. لأننى نسيان! وإنى لأنسى لأتيح لغديرى أن ينساب. مَن ذا الذى يستقبل موجى الجديد ويحتفى به ، إن بعثتُ فؤادى فى أثر الموج الذى مَر؟ من ذا الذى يهشُّ فى وجه براعمى التى تتفتح ، لو أننى تشاغلتُ

بالبكاء على زهرى الذابل ؟ لَئِنْ لم أنسَ ما فات ، لَمَا استطعت أن أذكر ما يجىء . ذلك النسيان كُتِب علىّ . بل إنه سر بقائى واطِّرادى . ما أنا إلا زورقٌ مُضاء ، يسْبح فوق بحرٍ من نسيان . هذا البحر المظلم الخِضَمّ ، الذى يتشابه فى أعماقه الليل والنهار ، هو الذى يحمل رَكْبى ويدفع موكبى . ولولاه ، لهويت لتوِّى إلى القاع ، إن كان حتماً أن يجف لينحسر عن جثث غرقاه ، الذين تريدُنى على أن أظل أسبِّح بذكراهم .

قلت إذَن سخِّرى غيرى لخساستك ، وسآخذ حذرى منك . سأوصد فى وجه سحْرك أبوابى ، وأُصِمُّ أذنىَّ عن سماع أناشيدك . إنى أعرف كيف تتحايلين على سرقة نفائسنا . إنك تأتيننا وفى يدك تلك الغادة التى خلَّفتِها الآن ببابى . ولكننى سأفرُّ من وجه حسنائك تلك . سأسكن صومعةً بالجبل ، وعندئذ آمَنُ مكرَ شيطانتك .

لأن الشياطين تَرهب صوامع النسَّاك ، ولا تطأ الأمكنة المقدسة . وهنالك فى ذلك المعْبد المنعزل ، حيث لا أصنامَ إلا أحزانى ، سأكرِّس أيامى لتلك الآلِهَة . سأسبِّح لها كما تسبِّح الرهبان ، وأصلِّى لها صلواتِ وثَنِى . لن تعلمينى الغدر أبداً ، أيتها المرأة التى يسمونها الدنيا . نعم ، ما أنت إلا امرأة ، لأن اللؤم سواءٌ فيكما . الوداع !

وحزَمتُ متاعى وذهبْت . ونادت الدنيا بأعلى صوتها : ويْحك ! لقد غلَبتَنى !

وبُحَّ صوتها على حين كنت أضرِب بعصاى فى القفار .

٧٠

هـذا الوجود على سـعته ، فى قلبى أنا . إنه نقطةٌ فىَّ كما أنا نقطةٌ فيه .

كل أطيافه ، لها فى قلبى ظلالٌ مصغَّرة . وكل أنغامه ، لها فيه أصداءٌ تتردد .

إنى لَأستطيع فى لحَظات الإشراق ، أن أراه بنظرةٍ واحدة ، وأعبِّر عنه بنغمة واحدة .

إنه ينقصنا هذا المَضاء ، لندرك أنه تحت بصرنا . فلو استطعنا أن ننظر النظرة الخاطفة ، ونعبِّر التعبير الخاطف ، لَمَا أعيتْنا رحابتُه .

فلا جـديدَ فى الأمر ، ولا أسرارَ وراء الحجُب ، وإنما تكرارٌ لعالَمٍ يعيش فى نفوسنا .

وما اللغز إلا فى ذلك العالَم الصغير — فينا نحن . هل نستطيع أن نَفهم أنفسنا ؟

٧١

لستَ منظوماً أيها الكون، ولكنك منثورٌ كشِعرى.

فنجومك مبعثَرة. ومختلفةُ الأطوال أنهارُك. ولا شبَهَ بين زهرةٍ فيك وزهرة. ولا تَماثُلَ بين غصنٍ وغصن. لأنك لانهائىٌّ أيها الكون، والنظام يحدُّك.

غير أن اتِّساقاً واحداً يشملك فى النهاية، لأن إلـٰهاً واحداً يستوى على كرسيك. وكذلك شِعرى ينتظمه نغمٌ واحدٌ كبيرٌ يجْمع أشتاته.

لقد فهمتُ سرك أيها الكون. إنك لا تحب الهندسة. لأنها المحدودية وذاك عجزٌ تنزهتَ عنه. إنما أردتَ أن تكُون ولا شكلَ لك، لكيما يكون لك من الأشكال ما لا يُحَد.

ولكنك عدتَ فاندمجت فى واحد ، لأنه لا صورةَ إلاَّهُ لغير المحدود ، وإلا لحدَّ منه سواه .

ولقد سرتُ على نسَقك جهدى ، لأن سرك فىَّ وما يفتأ يوجهنى ، لا فرقَ بيننا إلا ما بين قدرتى وقدرتك .

فلم أستطع أن أخلق سماواتٍ ولا أرَضِينَ لا تشابُهَ بينها ، ولكننى تركتُ أشجارى غير مشذَّبة ، وبحيرتى متعرجة الشواطىء ، وشِعرى منثورا .

ثم ساوقتُ بينه بنغمى الواحد القرَار ، كما بَثَثْتَ الانسجام يسُود فوضى عوالمك .

٧٢

لا أغنيَةَ جميلةَ لا يَشِيع منها الأسى، الذى ينبع فى نفوسنا من عينٍ مجهولة.

لا زهرةَ لا يقْطر منها الندى، ولا سرورَ لا يعبِّر عن نفسه بدمعةٍ يذرفها فى صمت.

لا شىءَ البتَّةَ لا يدين للألم. الوجود نفسُه كان ألماً كبيراً ما تزال تعانيه الخليقة. لأنه انفصالٌ أليمٌ للكون عن الروح السَّرْمَد.

فإلى أن يلتئم الجرح، ستظل الدنيا تقطِّر مرارتها الخالدة فى كل كأسٍ تشربها، حتى لو كانت من سلسبيل.

٧٣

عندما نلقَى الجمال ، يتصاعد الدمُ فرَحاً إلى وجوهنا ، لأننا نرى فيه لمَحاتٍ من الله .

إننا فى الدنيا سجناءُ تلك الحُجَر المغلقة التى يَفتح نوافذَها الحب ، فما يلبث أن يبهر أعينَنا نورٌ خلاب ، يسافر إلينا خلال عوالمَ بعيدة ، ويستقرُّ على وجه محبوبنا .

وعندما يدعونا الله إلى اللقاء الكبير ، فنحطم الأغلال ونطلق عَبْرَ السماوات ، نبصر وكأسطع ما يكون ، الكوكبَ الدرِّىَّ الذى تناهَى إلينا على الدنيا سناه . ونشعر بسعادةٍ لا توصف عندما تلفُّنا أنوارُه ، وتدور بنا فى فلَكه الدوّار .

٧٤

أيها الجمال الملثَّم يا جمالَ الله ، ما كان أتفه ذيَّاك الوجود ، لولا ما سقيتنا من حبك !

فياحبذا أنتَ تُغرِق الخليقة فى كأسك ، فإذا الأنام من هواك سُكارى ، والطيورُ على دوْحها تترنح .

حتى غزالُ الغاب شَرَد ، وقد استهواه عبَقك المبهم . فمضى يقْطع يومَه الوديانَ ويطوى الأكمَ ، باحثاً عن عطْرٍ شُبِّه له .

فيا من سقيتَ الدنيا بحبكَ خبِّرنى : أين وجهك ؟ أين منبع النور أين الزهرة التى تَبعث عطرك ؟ وهل سنراك إذا آن الأوان ، أم نظل الدهرَ نشقَى بعبادة معناك ، قانعين بشقائنا هذا الجميل ؟

٧٥

لِأغنِّ فى حب الله ! وأنفضُ عن نفسى نغمها الحبيس تحت طيّات الزمن ، مذ فصلتْنى الأحداثُ عن السر الأعظم ، حيث لا زمانَ آنَ هناك ولا مكان .

ولْأرسلْ أنغامى تسْبحُ مع الكون وتندمج فى دورته ، فأصبحَ والكونَ شيئاً أحداً ، وأتخلص من ذلك النشوز المقيت الذى يؤدى إليه تخلّفى .

إنى لَأحسُّ كلما توقفتُ عن الشدو برهة ، كأننى واقفٌ والفلكُ سيّار . وكأن أعين الكواكب تنظر لى شزراً ، وتستحثّنى أن أُمسِك نايى وأنتظمَ فى فرقة عازفيك يا أله .

٧٦

نغمٌ أنا ! مِن بعض نغم الكون . ولِربى أرْجع .

نغمٌ أنا ! حوْل كرسِىِّ العرش أطُوف . أذْكُرُ وأسبِّحُ باسْمه .

ولا أملٌ ، ولا أفيق . وأظل دهرى أقْنُت .

نغمٌ أنا ! فى الصدر حبيس . فمتى أنطلق ؟

متى تُفَكُّ قيودى ؟ فيعودَ وجودى . أو أُرَدَّ عليه ؟

٧٧

إيه يا نايى المبحوح ! إن بُحَّتك لَتنبع من جرحٍ عميق انبثق مع فجر الخليقة . جرحِ الألم من فراقها للروح السَّرْمَد .

ما أنا إلا متمِّمٌ على فمك ، نفْخَ الأغانى التى شدا بها جدودُنا الأولون ، والتى سيتمُّها أحفادنا من بَعْد .

رغبةٌ واحدةٌ جاشت فى صدورنا جميعا ، نموت وتحيا فى أبنائنا يتوارثونها جيلاً عن جيل . تلك هى الغزَل فى هذه الروح .

إننا حين نغنِّى لزهورنا المحبوبة ، نجهل الذات المبهمة التى تستتر فيها ، والتى يعنيها لاشعورُنا بالخطاب .

فإلى أن نَرى على ضوء تباريحنا وجه الله الكريم ، ستظل يا نايى تنُوح ، وسيظل نغمك مبحوحا .

٧٨

تباركتَ يا أله! إنك سبحانك كل شيء، وما عداك فرموزٌ تنغلق على سرك الأكبر.

ما أنا إلا روحك التى تسكننى، والتى عاشت من قبْلُ معك.

وما الورد إلا جمالك، والغيث إلا رحمتك، والعواصف نقمتك، والرعد جبَروتك.

ولو أن الطلاسم حُلَّت حَلَّ عليم، لانكشفتْ جميعها عن سرٍّ واحد، هو أنت يا أله.

٧٩

إلـهى إنى طائرٌ غِرِّيد ، أريد أن أصعد إلى عُلاك وأتنقل فى فراديسك . آكل من ثمرها السحرى ، وأتفيأ ظلها السحرى . ثم أشدو وقد انقلبتْ أنغامى سحرية ، لأمجِّد ذاتك .

إلـهى ولكنى واهن الجناح ، ولا أستطيع الصعود إلى سُدَّتك . فهَبْ لى من نغمى أجنحةً قوية ، تحْملنى وتوصِّلنى إليك .

إلـهى وهبْ لى الحبَّ الذى يبعث فى قلبى النغم ، والألمَ الذى يحلِّيه ويرققه ، ويجعله جديراً بسمائك .

ثم اقبلنى يا إلـهى فى زمْرتك ، وأسْكِنِّى جنتك ، واجعلْنى من عبادك المقرَّبين .

٨٠

إلـهى هيِّىءْ لى فى حَفْل أغانيك مقعداً وادْعُنى إليه. أجلسُ فيه مع حورك وملائكتك الحِسَان أعبُدك وأقدِّسُ لك.

إلـهى واجمعْنى على رفاقى الأُلَى فارقوا وخلَّفوا لى لوعةً لا تَبْرأ. وأَعِدْ علينا سِيَرَ الأيام التى عشناها فى فجر عمرنا جنباً إلى جنب.

إلـهى واجعلْنى نغمةً تسْبح فى فلَكَكَ جِدَّ نشْوَى من خمرها — إلـهى ولا تجعلْنى أفيق.

٨١

كلاَّ ، لن نكُون الآن تلك الآلِهَة . غداً ، عندما نموت ، نصبح شيئاً مقدَّسا .

سيُسدَل الستار على هفواتنا . وحسناتُنا ستبدو مآثر .

وسيندم العدوُّ الذى كان حاربنا . ويحنُّ الصديق حتى إلى أيام هجْرنا .

سيذْكرنا الكل بالخير . حتى مَن إليه أسأنا ، وعلينا حَقَد .

سينظرون إلى صُوَرنا ويبكون . وستظل أصواتنا تطنُّ فى آذانهم .

لن يفرِّطوا فى ملابسنا . أو يحرقوا رسائلنا . أزهارنا الذابلة ، سيحفظونها فى قماقم . مَسابحُنا ، عصِيُّنا ، ستغدو برَكة .

حتى بقايانا المسجّاةُ فى الأرماس ، سيزورونها وهم أطهار . وسيلمسون أحجار قبورنا كما يلمسون شيئاً قابلاً للكسر . فى رفقٍ جَمٍّ وفرْط حنان .

وسيتلُون على أرواحنا الأوراد . ويقدمون من نُخَب الزهر هدايا لنا . سيبذلون عبثاً كلَّ ما يظنون أنهم يتقربون به زُلْفَى إلينا .

تَبارك الموت الذى يطهرنا ويجعل منا قدِّيسين ! حقًّا إننا محبوبون ولنا منزلة ، ولكنْ ينبغى أن نموت أولاً لنحظى بذلك .

ينبغى أن نموت أولاً لنظفر بذلك الذى كنا نتوق إليه فى الدنيا ، ثم لا ننتفع به !

أجَل ، ما الذى نفيده من صلواتٍ تُقام أو أدعيةٍ تُتْلى على أرواحنا ؟ ما الذى نفيده من تقديس آثارنا وتندية أجدائنا بالدموع ؟ ماذا نأخذ من زهرٍ أهدوه ، وفواكهَ تصدَّقوا بها ؟

لا شيء. حتى الذكْرُ الحسَن، لن يندِّىَ جفاف حلوقنا، ولن يُحْيي عظامنا النخِرة.

المجد الذى سنتركه، والحسنات التى قدمتْها أيدينا، لن تحيا بعدنا إلا فى أذهان الأحياء.

أمّا نحن فسنظل نغطُّ فى نومنا، لا ندرى شيئاً عن تلك الآلِهَة التى راحوا يعبدونها فينا. وستَمدُّ إلينا الدنيا اليدَ التى كانت قبضتْها عنا فى الحياة، حين لا نصبح بحاجةٍ إليها.

وسيقول القبرُ الذى تَشهَد أحجارُه: ليتها فعلتْ هذا وسكانى أحياءٌ ولهم أنفاسٌ تتردد! ليتها فعلتْه يومَ كانت آذانهم تَسمع وأعينهم تَرى! إذَن لطربوا لأنغام الحنان تُسكَب فى سمعهم، وقَرُّوا عيناً ببسَمات الرضا.

أجَل ليتها! ولكنها تستكثر الحنان على أبنائها، فتحرمهم إياهُ أحياءً وتحمِّلهم وهم موتَى جميلَه. وفى يومٍ لا يقوون فيه على رد الجميل.

رحماك أيتها الدنيا ! كفانا بالموت عجزا. كفانا به قلةَ حيلة. فعلامَ هذا الجميل ترهقين به عظامنا الهشَّة ؟

عُودى إلى جحودك. وكفانا ما نلنا على يدك. لم تعد لنا أكبادٌ قوية، تحتمل التوجع لك والاستماع إلى صرخات ضميرك. ولا أيدٍ طيِّعة نستطيع أن نومىء بها إليك شاكرين.

فبالله دعِينا، ولا تُشعرينا ثِقَلَ الدَيْن الذى لا نعرف كيف نوفِّيه.

نعَم دعِينا، فإنما جئنا هنا لنستريح. وحسْبك أنك أشقيتِنا ونحن على ظهرك، فلا تزعجينا ونحن فى جوفك رقود.

٨٢

ما أشقَّ المرحلة الأخيرة من الحياة، لولا هذه الذكريات التى ترسب منها فى أعماقنا، وترسل أطيافَها ترقص أمام عيوننا معيدةً عليها سِيَرَ الأيام التى انطوت، وتكونُ يومَ تقفر الحياة، عتادنا فى أيامنا الأخيرة. يومَ نجلس على حافة عمرنا نتأمل سفائن الأيام وهى تنأى إلى ذلك الشاطىء المجهول، الذى تذهب إليه إلى غير عودة، لولا أطيافها التى تأبى أن تلحق بها، والتى تتريث قليلاً لتؤنسنا فى ساعة القحط والإجداب.

٨٣

وهكذا تنقضى حياتى دون أن أصادف الفتاة التى جئتُ الدنيا لأحبها .

وهكذا على كثرة ما شربتُ من خمر الغِيد ، أرُوح آخرَ اليوم بظمئى . وأموت على كثرة ما غنَّيت ، وبين جنبىَّ أغانٍ حبيسة ، لم يُتَحْ لى أن أشدو بها ، لأن الأصابع التى خُلقَت لتجتذب أنغامها من قلبى ، لم أهتدِ إليها فى سفَر الحياة .

فيا من أتيتُ الدنيا لأشدو بأنغامك ، لقد حانت ساعة الرحيل ولمَّا أقْضِ الوطَر .

ويا أيتها الأنغام الشجية يا أشجى من كل ما غنَّيت ، ارقدى معى بسلام ، فلقد قُدِّر عليك ألاَّ تخرجى للوجود ، وأن تظلى سجينة قلبى إلى الأبد .

٨٤

ألاَ اطْوِ يا قارب الحياة شراعك ، ثم اهْوِ إلى القاع واسكنِ الظلمات .

لن تعود تتأرجح فوق الموج الراقص ، وظِلُّ قِلْعك الخفاق تيَّاهٌ عليك .

لن يعود الماء يقْطر من مجاذيفك كأنه الدمع ، ويَبعث فى السكون بنقَراته الخافتة .

لن يعود الخرير يَعزف حولك نغماتِه القيثارية ، بين تصفيق العُبَاب الذى يلطم جوانبك وينسلُّ هاربا .

لن تعود طيور الماء تحلِّق فوقك ، أو تعْبر أمامك من شاطىء لشاطىء ، وقد تناهَى إلى سمْعك خفْقُ جناحها السريع .

لن تعود تسمع حُدَاءَ رفاقك الملاحين ،

وهم يمْرقون بقواربهم من جانبك ويختفون فى الضباب .

لن تعود تمر بضفاف جديدة ، وتتفيأ ظلالاً جديدة ، وتنْشق عطوراً جديدة .

لن تعود ترى مرساك كلما أبْتَ من رحلة ، وقد تلألأتْ فوقه الأنوار ، ولوَّحتْ لك منه أيدٍ تعزُّها .

سيختفى كل ذلك ، وستمحو الظلُمات ذكرياته منك ، فلا تعود تَرى أو تذْكر .

٨٥

إيه أيها المُزْمِع الرحيل! قمْ ودِّعْ أيام صحْوك القصيرة، ثم نَمِ الدهرَ كله.

لقد داعبَت الريحُ الخفيَّة مصباحك، وعما قليلٍ تطفئه فما تعود تراه يختلج. بل لن تحلم به مرةً واحدةً فى نومك الطويل، على نحو ما يحلم النيام بما عزَّ عليهم مناله.

ستَنسى كل شىء عنه، وستَنسى الأيامَ والليالى التى احترقتْ على شعلته، باعثةً فرْحتَها فى وهَجٍ يتلاشى، مخلِّفةً أحزانها فى هَبَاب.

وحتى هذا الهباب ستنساه، بما كلفك حمْله من مشقة، وأزجَى من عينيك من دموع. وستلفُّك فى ردائها إلى الأبد، راحةٌ أشقَى من الشقاء. راحةٌ لا تَعِى نفسَها لتدرك أنها راحة.

فواأسفـا على صحْوك الجميل ، وعلى ما رأيتَ فيه وسمعت ! واأسفـا على الرياض وما حوت من طيرٍ وزهر ! واأسفـا على الليل والنهـار ! وعلى الأهل والخلاّن وعلى كل شيء !

قُمِ افتحْ عينيك المكدودتين ، واشملِ الدنيا بنظرتك لآخر مرة ، وعِ منها قبل أن تَنسى ما استطعت .

قمِ انظرِ الزهر يتبسم للصبـاح ، ويحيِّيه بكئوس عبيره . والطيرَ يزفه بموسيقاه الخالدة ، التى لم تذهب بجدّتها العصور .

وانظرِ الشمسَ تتوِّج قمم الجبـال ، وتسكب أشعتَـها على السفوح المُعْشَوْشِبَة . والجداولَ تجرى فى وديانهـا بين البرارى والحقول ، وقد رقص فوقها الموجُ على نغم الخرير .

قمْ تَزوَّدْ من أهلك وممن أحببت ، وتزود من نفسك التى اختلجت بين جنبيك ، والتى لن

تعود تضمها ضلوعك .

قمِ انظرْ كل شيء ، وودِّعْ كل شيء ، وابكِ كل شيء ، ثم الْوِ عنقك ونَم .

٨٦

لقد مرت ساعاتُ الحُلْم ، وسيكون الباقى من الليل بغير أحلام .

إنى عائد إلى الظلمات التى انبثقتُ منها إلى حين .

وسيكون نومى أعمق من قاع البحر ، وأطول من سلاسل الآباد .

لن أعى فيه تغيُّرَ الفصول ، ولا اختلافَ الليل والنهار .

كل شىءٍ حولى سيتشابه . فلن أبصر غير الظلام ، ولن يهمس فى أذنىِ إلا الصمت .

وسيقف سيْرُ الزمن ، فلن تقصِّر الأيامُ التى تمرُّ من أمَد نومى .

وسيمحو النسيانُ منى ذكرَى الأحلام التى

رأيتها . فإذا ما سبَحتْ فوق سفائنُ الأحياء ، أو مرَّ بي من الكائنات عابرُ سبيل ، لا أذكر أنى كنت يوماً بينها .

وسيكون وجودى كذُبَالةٍ وُضعتْ فى مهبِّ الريح ، متى انطفأتْ غرقتْ فى الظلمات ونسيتْ نفسها .

٧٧

النـور الذى احتبسَ زماناً فى جسدى ، قد عجَـز هـذا الجسد عن أن يظل ممسكاً به ، مذ دبَّ فى أوصاله الوهَـن .

إنْ هو إلا قليـلٌ حتى تتراخى أصابعـه ، وينطلق الطائر الحبيس عائداً إلى سمائه .

إنكم لن تستطيعوا أن تفعلوا شيئاً من أجلى ، ولا أن تؤخروا زمان رحيـلى . حتى لو تشبثتم بأذيالى ، ستفلت روحى من بين أصابعكم وتطير .

فلا تحاولوا المستحيل . ولا تحزنوا لذهابى . ما أنا إلا أسيرٌ فُكَّ من يديه القيد . ومغتربٌ آب إلى وطنه .

فابتهجوا لى ، وادْعوا لى بالتوفيق فى رحلتى ، عسانى لا أصادف فى طريق عقبات .

وتحملوا فى جلَدٍ أيام الفراق. واذكروا أنها لا تدوم وإن طالت. وأننا سنلتقى جميعاً فى مهدنا الأول، وعن كثَبٍ من وجه الله الكريم. وعندئذ لن نفترق مرة أخرى، ولو تتابعتْ علينا الدهور وكرَّت الأحقاب.

٨٨

يا أيها الخلاّن ! لقد دَق ناقوسى ودعانى الداعى المجهول ، وإنى ذاهبٌ ألسِّى .

لُفونى فى ثيابٍ بِيض ، نقيةٍ كالثلج . وعطرونى بأطيب الأفاويه . حتى إذا أعددتمونى للرحيل ، سِيروا فى رَكْبى حتى الجدَث ، حيث الحدُّ الفاصل بين الموت والحياة ، ثم اتركونى أتِمُّ الرحلة وحدى .

سأجتاز بحوراً من ضياء ، وأمرُّ خلال سماواتٍ عِدَّة ، ثم تلُوح مدينة الأرواح ، وقد خرجتْ وفودها لاستقبالى حاملاتٍ سلاّت الزهر .

وعندئذ سأصافح أيادىَ عزيزة ، وأرى وجوهاً حُرمتُ طلْعتها ردحاً من الزمن ، وأطفاً غيابُها النور فى عينىّ .

ثم أسير فى موكب منها إلى مستقرّ الحفل ، حيث الموائد ممدودةٌ احتفاءً بالقادم الجديد ، والحُورُ تعزف من حولها موسيقى الخلود .

وإذْ آخُذ بين الندامَى مقعدى ، سنتذاكر ونحن نرشف كئوس السلسبيل ، أياماً لنا على الدنيا خلَت ، ونذكر بالخير من تخلّف فيها من إخواننا ، ليلحق بنا بعد حين .

٨٩

مثلما تصحو الشمسُ بعد النعاس،
هل تُرَى إنْ نمتُ الليلة أصحو؟
وكما تَبعث من حُلْمها قمرا،
هل تُرَى إنْ أغمَضَ جَفنِى أحلم؟
أم أنى أكون كنجمٍ هوى،
ثم فَقَدَ فى الظلمة نفسَه؟

٩٠

إيه تاجور!

يا من طالما للموت تُقْت، ها أنتَ ذا تشرب كأسه. فبربك حدِّثنا أحُلوةً وجدتَها أم مُرة؟ وهل هى من كأس الحياة أمَرّ، أم لم تزل أحلى؟ وهل تريح هى القلوبَ المضناة فأراحت قلبك، أم أن شاربها يطْبِق شفتيه الدهرَ على علقم؟

حدِّثنا! وقُلْ لنا أرأيتَ فى سَكَراتها وجه ربك الكريم، الذى طالما تغزلتَ فيه على الدنيا فأحسنتَ الغزَل، أم أنك أغمضْتَ لا أنت رأيته ولا بقيت لأشعارك؟

وقل لنا أأصبحتَ روحاً ترفرف وتجُوب السماواتِ العُلاَ، وتَرَى العشاق مِلْءَ الرُّبا

وعلى شواطىء الأنهار ، يتساقوْن الهوى على نغمات مزمارك ، الذى مِتَّ وبقيتْ شاديةً فى فمِ الزمن ؟

وهل تُنشدهم من عُلاَك أغانى الخلود ، وترْشقهم بزهر الجنة النورانى ، فتحيِّى بنغم السماء خلَواتهم البريئة ، وتُباركها بأزهار الفراديس ؟ فيسمعوك كما يستمع الأنسان إلى هاتفٍ خفىّْ ، ويَرَوْا هداياك كأنها فقاقيعُ من نورٍ تتساقط على أجسامهم وتذُوب ؟

هل تُرَى تفعل ؟ أم مغْمَضٌ أنت فى جوف الثرى ، وقد نسيتَ ما العشاق وما العشق ، وخبا على جبهتك الذكاءُ فما عدتَ تلمح فى بريق عيونهم الوجدَ ولا تقرأ الصبابةَ فى شفاههم المرتعشة ، وماتت فى صدرك جذوة العواطف التى طالما جلستَ تحترق على نارها المقدسة وتصوغ من تلافيف بخورها العَطِر أغانيك ، فما عدتَ تحسُّ بإحساساتهم وتخفُّ لتحيتها ؟

كلاَّ وأيْمُ الله ! فحاشاك أن تكون المائت تحت التراب ، وقد تكهَّنتَ فى دنياك بخلود الروح ، ورأيتَ نفسَك فيما رأيت من أحلام ، حيًّا بعد الموت وفى كون ربك الفسيح تمرح . وما مثْلك مَن تُخدع روحه فيُشبَّه له ويقول غير الذى هو حق .

آه ولكنْ ! لِيكنْ ما به تكهنْت ، وأنك روحٌ تهيم وما تُرَى . فما أنت أمامى الآن إلا جثة . ولا أعرف عنك إلا أنك جثْمانٌ سُجِّىَ فى رمْس . فوالهفى عليك وعلى قلبك الحنون يأكله التراب ! وبريقِ عينيك يغيب فيه وينطفىء !

قُمْ تاجور ! قم تاجورُ وغنِّنا كما غنَّيتنا من قبل ، واشْدُ بالأشعار ورتِّلْ بالنغم . واهْزُزْ قلوب العاشقين بترنيمك ، والمُوجَعين بَكٍّ بنايك المبحوح .

يا مَن سموتَ عن أن يدانيك فنانٌ ، مَن

بَعدك للأشعار يَقْرضها ، وللزامير ينفخ فيها نفَسه السحرى ؟ مَن بعدك يلمس أوتار القلوب وعلى جِراحها يضع إصبعه ؟ من بعدك يَرمز بالطير والزهرة ، ويحُوك من خرير الجدول نغمَه ، ومن الجُمَان ينْظم كلماته ؟ من بعدك يفشى أسرار الوجود ، فيُسمعنا حديثَ الفرَاش لزهره ، ونجوَى النسيم لأغصانه ؟ ويزعم أن احمرار الشفَق جِراح ، وأن الغيم همٌّ تراكَم بالأفق ، والبرقَ بعض شوق السحاب ؟

إى والله لكم قرأتَ فى الكون من أسرار ، فقُلْ لى ماذا عساك قارىءٌ فيه بعد أن أصبحتَ نفسك سرًّا وفى ضميره ثويت ؟ ماذا يا من أفنيتَ عمرك فى البحث ، فلما اهتديتَ لكل شىء وحللتَ كل لغز ، التويت على نفسك ؟

واأسفاه ! إذَن لن تعود تقرأ لنا أسراراً جديدة ، ولا تنفخُ فى نايك وتُسمعنا أغانىَ جديدة ! كأنك لم تُبْقِ فى مجال القول شيئاً

يقال فسكتّ ! ولكنْ بعد أن أفعمتَ القلوب كلها بأغانيك ، وملأتَ سمْع التاريخ بترنيمك .

وإذَن لن نعود نعال النفس برؤيتك ، واستجلاء طلْعتك التى عليها سيماء الأنبياء ، والتى لم تبْرح ذهنى مذ رأيتك زائراً وطنى ومغرداً فيه ، فعرفتُك وإن لم تعرفنى ، وعشتُ وإياك فى شِعرك على رغم بُعْد الشُّقَّتيْن .

فيا من سكنتَ السماء ألاَ تحنُّ وإن كنتَ فى رياض الخُلْد ترتع ، إلى زهرةٍ من زهور الثرى التى عشتَ قديماً بينها ونشقْتَ ريَّاها ؟

وهل تقْبل يا من طالما أهديتنا من الزهر سلاَّت ، طاقةَ زهرٍ متواضعة يقدمها إليك معجَبٌ بكَ ردًّا للجميل ؟ إن كان هذا فخذْها فى هذا « العبير » ، والسلام عليك روحاً فى أثير الله تسْبح ، وعلى أيامك فى الدنيا سلام .

[تم]

شـــرح

الصفحة	الكلمة	الشرح
٥	تلافيف	لفائف
٦	برْح	شدة الوجد
٦	خمش	خدشَ
٨	الأصيل	وقت العصر
٨	الشهب	شعل من النار كالنجوم
٨	الوسن	النوم
٩	يستلّ	يخطف
١٠	الأقاحى	جمع أقحوان وهو زهر أبيض
١٠	الدياجى	الظلمات
١٠	التعاويذ	ما يتلى أو يكتب للوقاية من السحر
١٠	التمائم	[الأحجبة]
١٠	الرقى	ما يتلى أو يكتب للوقاية من السحر
١١	ضرّج	صبغ بالحمرة
١١	الجورى	نسبة إلى ورد بلدة جور [جور] الأحمر
١١	البراعم	الزهر قبل التفتح
١١	الأيك	الغصون
١٢	مهيض	مكسور
١٣	يزكو	يطيب
١٤	غفى	نعس
١٦	الغلالة	الثوب الشفاف

١٧	زجج	خطط الحواجب
١٧	ضمخ	غمر بالعطر
١٨	البرية	الخليقة
١٨	المفرق	الخط الناشىء من فرق الشعر
١٩	الجوى	حرقة الحب
٢٢	رنا	نظر
٢٢	نكهة	رائحة
٢٤	يرف	يلتمع فى ارتعاش
٢٤	دغدغ	حطم
٢٤	الأليق	التألق
٢٧	[الكناريا]	الكنار وهو طائر مغرد
٢٧	حطام	البقايا المتكسرة
٢٩	اللجى	كثير الموج كبيره
٣٠	الأهداب	شعر الجفون
٣١	الحبب	الفقاقيع
٣٤	فنن	غصن
٣٥	العراقة	قِدم الأصل فى نبل
٣٥	الغرد	المغرد
٣٧	الثنايا	الأسنان
٣٧	الجيد	العنق
٣٩	الأسرار	السير ليلا
٣٩	بلور	[بنور]

٣٩	الدغل	الشجر الملتف
٤٠	اللما	الريق
٤٤	البيان	[البيانو]
٤٥	مجامر	أمكنة الجمر
٤٥	[البدال]	أداة فى البيانو لتعلية النغم أو خفضه
٤٥	أرجح	فعل مشتق من الأرجوحة
٤٩	غبّ	عقب
٥٠	إبان	حين
٥٠	رجراج	مترجرج
٥١	القر	البرد الشديد
٥٢	حسر	أزاح
٥٣	ذياك	مصغر ذاك
٥٤	نثار	ما تساقط
٥٤	الدف	نوع من الرق
٥٥	مناقع	مستنقعات
٥٥	البرد	قطع الثلج المتساقطة مع المطر
٥٧	النضيد	المصفف
٥٧	العندم	نبات أحمر .
٥٨	أصمى	أصاب وأردى
٦٢	يأسن	يركد
٦٤	الأرغن	نوع من المزامير
٦٥	الريا	العطر

٧٠	متن	ظهر
٧٢	الأرزيز	التلفون .
٨٠	إزار	ثوب
٨٤	يضوع	يفوح
٨٧	عبير	عطر
٨٨	الشحارير	نوع من الطيور المغردة
٨٩	تفيأ	استظل
٩٧	الأسمال	الثياب البالية
١٠١	رمونا	رواية سينمية مشهورة
١٠١	المخمل	القطيفة
١٠٧	الحداة	جمع حاد وهو مغنى الركب
١١٨	يبسق	يطول
١٢١	يذرى	يبعثر
١٢٣	الأجداث	القبور
١٢٦	عباب	الموج المتلاطم
١٢٨	الدمى	صغار التماثيل كالعرائس
١٣٥	السرمد	الدائم
١٣٧	عبق	عطر
١٣٧	الأكم	ما ارتفع من الأرض
١٤٢	سدة	عتبة
١٤٥	الأرماس	القبور
١٦٤	الجمان	اللؤلؤ

كتب المؤلف

العبير	مقطوعات من الشعر المنثور .
الأغنية	مقطوعات من الشعر المنثور .
البلبل	مقطوعات من الشعر المنثور . أقرته وزارة المعارف لمكتبات مدارسها .
الزنبقة	مقطوعات من الشعر المنثور . أقرتها وزارة المعارف لمكتبات مدارسها .
سهير	مأساة غرامية . أقرتها وزارة المعارف لمكتبات مدارسها .
وحيد [طبعة ثانية]	مأساة غرامية . أقرتها وزارة المعارف لمكتبات مدارسها . واشترت حق تمثيلها الفرقة القومية .
مناجاة	مقطوعات من الشعر المنثور . [نفد]
البطالة	بحث اجتماعى . [نفد]

تطلب من ناشرتها
مكتبة النهضة المصرية
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة

تمت الطبعة الأولى من العبير
فى ٢٥ يناير سنة ١٩٤١

مطبعة حجازى بالقاهرة